البصرة
في أدوارها التاريخية

تأليف

الشيخ عبد القادر باش أعيان العباسي

طبع على نفقة المؤلف

طبع مطبعة دار البصري

غازي العبد

البصرة

في أدوارها التاريخية

تأليف

الشيخ عبد القادر باش أعيان العباسي

طبع على نفقة المؤلف

١٣٨١ هـ ١٩٦١ م

مطبعة دار البصري ـ بغداد تلفون (٨٩٢٧٩)

اهداء الكتاب

الى الارواح الزكية الطاهرة التى سقت بدمائها تربة الوطن المقدس.

الى الجيل الصاعد من شبابنا الوثاب الذين سيحملون بيدهم مشعل النور الوضاح ليسيروا باخوانهم ابناء الشعب الواحد في في طريق الفضيلة والعرفان فيزيحوا بسواعدهم القوية مخاوف الجهل والشر .

اليهم جميعاً اهدي الكتاب درساً للحقيقة والتاريخ .

عبدالقادر باش اعيان العباسى

ترجمة المؤلف

عبدالقادر باش اعيان العباسى نجل الشيخ عبدالواحد باش اعيان العباسى ولد فى البصرة فى سنة ١٣١٢ هـ - ١٨٩٤ م



ودرس العلوم الدينية واللغة العربية وختم القرآن الكريم على يد اساتذة من العلماء ومنهم العلامة الجليل المغفور له المرحـــوم السيد عبدالعزيز الناصري التكريتى امام وخطيب ومدرس جامع عبدالله اغا فى البصرة . وبعدها دخل المدارس العثمانية الابتدائية والرشدية والاعدادية وتخرج منها فى حدود ســـنة ١٩١١ - ١٩١٢ م وداوم فى قلم محكمة بداية البصرة ثم عين معاون مستنطق فى قضاء القورنة وبعد تعيينه بمدة وجيزة استقال منها وزاول اعمال والده التجارية فى سنة ١٩١٣ م وبعد وفاة المرحوم والده استمر على اعماله التجارية وفى سنة ١٩٤٣ انتخب نائباً فى مجلس الامة عن لواء البصرة وفى سنة ١٩٤٦ م عين عضواً فى مجلس الاعيان حتى سنة ١٩٥٨ م

المقــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له العزة والجبروت وله الحق المبين وبيده الملك والملكوت وله الاسماء الحسنى وهو الحي الذي لا يموت والصلاة على خير خلقه ابي القاسم خاتم رسله والامين على وحيه سيدنا محمد النبي وعلى آله واصحابه الذين لهم فى صحبته واتباعه الاثر البعيد الصيت . صلى الله عليه وعليهم ما اتصل بالاسلام جده المبخوت وانقطع بالكفر حبله المبتوت ورزقنا الله والمسلمين الصدق واليقين .

هذا كتاب يتضمن نبذة مختصرة من تاريخ (البصرة العظمى) الكبير يسمى (البصرة - فى ادوارها التاريخية) وقد كنت عزمت منذ سنين ماضية على تأليف كتاب فى تاريخها يشمل جميع اخبار البصرة القديمة والبصرة الحديثة -الحالية- وبذلت كل ما فى طاقتي واجتهادي لانجازه ولكن يا للاسف حالت دون شروعي فيه بعض فترات طويلة وعوائق صعبة مما ادى بي الى ارجاء ذلك حتى يتسنى لي الوقت المناسب لاكماله واني ان شاء الله تعالى سأستعين بمراجع من المخطوطات التى تبحث عن تاريخ البصرة وما مر عليها من ادوار منذ تأسيسها سنة ١٤ هـ - ٦٤٧ م فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى نهاية عهد الامبراطورية العثمانية سنة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م خاصة مؤلفات المرحومين سيدي الوالد الشيخ عبدالواحد باش اعيان العباسى والعم الشيخ محمد امين عالي والاخ الشيخ ياسين باش اعيان العباسى فهذه المخطوطات القيمة تحتوي على اهم الاخبار وستكون المرجع الاساسى لدي عندما اباشر باخراج تاريخ البصرة العظمى الكبير وسيكون شاملا لجميع

ما يتعلق بحوادث البصرة من امور سياسية واقتصادية وعلمية وما شاهدت من غارات ومعارك وحروب وسيكون ان شاء الله موسوعة شاملة من جميع النواحي وستحتوي كذلك على اسماء القسم الاعظم من حكامها من زمن الخلفاء الراشدين حتى نهاية الدولة العباسية ، ثم من عهد حكم الامبراطورية العثمانية حتى نهاية حكمها فى ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م مع ذكر اسماء بعض مشايخ العرب الذين حكموا البصرة فى ايام حكومات الطوائف المتفرقة . اسأله تعالى ان يعينني على انجازه وعليه اتوكل وبه استعين .

المؤلف

الخريبـــة

البصرة قبل تمصيرها وتسمى البصيرة

الابلة أو أرض الهند

الخريبة هى بقايا انقاض (تردم) أو (تردن) الكلدانية كما ذكرت بعض الكتب التاريخية منها اليونانية وبعض القواميس العربية تسميها (تدمر) وهذا غلط .

وكانت مدينة تردم هذه على عهد الكلدانيين من المدن الزاهرة بمياهها المتدفقة واشجارها الباسقة ومبانيها الفخمة ثم خربت بمرور الزمن ولم يبق منها سوى قصر ومخفر للاعاجم وذلك هو السبب الذي دعى اولئك العرب البواسل يوم قدموها ان يسموها (الخريبة) وتسمى ايضاً (المؤتفكة) ولما أغارت الاعاجم فى عهد الملك كورش على العراق لاكتساح الدول الكلدانية سنة ٥٣٨ ق ب فيه وصارت جميع المدن العراقية فى قبضة الفرس سميت تلك المدينة (هشتاباد اردشير) اي عمارة اردشير المدهشة وبقيت بعدئذ تجابه الطواريء بين الفرس والرومان وغيرهم حفنة من السنين حتى دكت معالمها كما انقرضت بقيةالمدن العراقيةالاخرى وبقى معظمها خرابا ولقبت تلكالمدينة بعد خرابها (المؤتفكة) كما جاءفى هامش شرح المقامة البصرية للحريري التى شرحها ابو المظفر الطرزي نقلا عن كتاب المطالع لانها انقلبت بأهلها فى اول الدهر . مما يثبت لنا انها من المدن الكلدانية والفارسية وثم آلت الى الاسلام وتسمى البصرة .

الابلة أو أرض الهند



منظر من بقايا ما تبقى من اطلال الابلة الواقعة فى كوت الزين على
طريق الفاو (صور فى ايلول سنة ١٩٦١)

كانت تسمى يومئذ (الابلة) ارض الهند . فيها نهران . نهر قديم يشق مدينة الابلة الواقعة فى الجنوب الشرقى من البصرة العظمى قبل تمصيرها وتبعد عنها مسافة اربعة فراسخ ونهر آخر كما قال ياقوت (اما نهر الابلة الضارب الى البصرة فتمد حفره زياد) لقد تضاربت آراء الكتاب والمؤرخين فى موقع الابلة التاريخي وفى تعيين مكانه وكثيراً ما كتبوا فى الجرائد والمجلات العراقية عن موقعها الا انهم لم يأتوا ببرهان قاطع ودليل ساطع عن موقعها الحقيقى فالاغلب منهم انحرف عن طريق الصواب ومنهم من بقى مصراً على أوهامه بلا تمحيص ولا تحقيق على انه (نهر العشار) الذي يشق مدينة البصرة الجديدة الحالية والى القاريء بعض الادلة والشواهد والشروح .

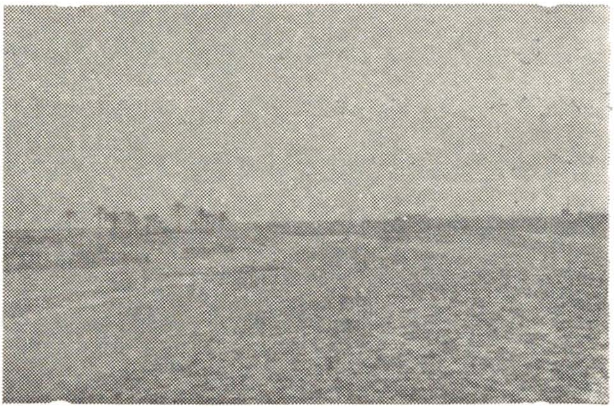
قال ياقوت (الابلة) بضم اوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها وهى اسم

البلد . وقال الاصمعي الابلة التي يراد بها اسم البلد كانت به امرأة (خمارة) تعرف بـ (هوب) في زمن النبط فطلبها قوم من النبط فقيل لهم (هوب لا كا) بتشديد اللام اي ليست هوب هنا فجاءت الفرس فغلطت ذلك فصارت (هوبلت) فعربها العرب فقالوا الابلة . وقال غيره من لغوي العرب ان الابلة (الجلة من التمر) وقال آخر انها القدرة من التمر وقال غيره الابلة المجيع والمجيع هو التمر واللبن ويقال انها سميت على اسم (أوبلو) القائد البحري الثاني لاسكندر المقدوني لما اتى من جهة البحر الى مناصرة اسكندر المقدوني لفتح العراق سنة ٣٣٠ ق ب ورسا بسفنه تجاه موقع هذه المدينة تحت قيادة القائد البحري الاول (نيرغوس) .

يقول ياقوت في المعجم ج ١ ص ٨٩ (الابلة بلدة على شاطي دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة وهي اقدم من البصرة) ويقول ايضاً في ج ٢ وص ٣١٥ - ٣١٦ في بحثه عن مدينة (بهمن اردشير) المسمى الآن (بهمنشير) اي مدينة بهمن اردشير مبنية على بحر شرقي دجلة العوراء وهي دجلة البصرة اي (شط العرب) تجاه الابلة (ومن كورة بهمن اردشير) (مسيان روذان) وكما جاء في ج ٨ وص ٢١٩ (مسيان روذان جزيرة تحت البصرة فيها عبادان) وقال المسعودي في تاريخه مروج الذهب ج ١ وص ٨٧ (وللبصرة انهار كبار . . . الى ان يقول ومنتهى بحر فارس الى الموضع المعروف بالحدارة وهي (اي الحدارة) دخلت من البحر الى البر (خليج) تقرب من نحو بلاد الابلة ولهذه الحدارة انحدرت الاخشاب من فم البحر مما يلي الابلة وعبادان . وقال ابن حوقل في ص ٤٦ وجلد ١ (والحدارة من عبادان على نحو ستة اميال على جري ماء دجلة الى البحر (وقال المسعودي وابن حوقل ايضاً (ولهذه الحدارة فيها اخشاب ثلاثة او اربع كالكرسي عليها أناس يوقدون النار بالليل على الخشبات المذكورة خوفا على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما ان تقع في الحدارة

وخشية انكسارها لقلة الماء وقت الجزر ...)

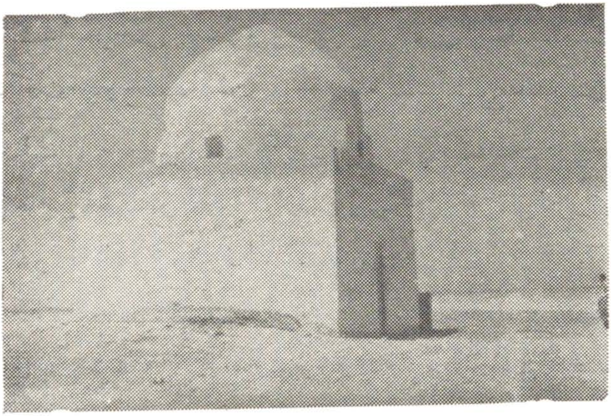
وفى شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد وفى الطبري فى اخبارهما عن وقائع حرب الزنوج فى البصرة سنة ٢٥٥ ه الى سنة ٢٧٠ ه حيث ذكر ان بعض تلك الوقائع الحربية بين جيوش زعيم الزنج الذي اتخذ مدينة (ابى الخصيب) عاصمة له وبين جيوش الموفق بالله العباسى كانت تحدث فى الانهر الجنوبية المحاذية لمدينة الابلة ومن جملتها نهر (دبا) ونهر القندل المسمى اليوم بنهر جندل وهما موجودان لليوم قرب قرية كوت الزين جنوبى ابى الخصيب فبعد هذه الادلة والبراهين الساطعة ان (مدينة الابلة) فى قرية الزين وهي مدينة كلدانية نبطية فارسية عربية اسلامية .



منظر من بقايا ما تبقى من اطلال الابلة الواقعة فى كوت الزين على طريق الفاو (صور فى ايلول سنة ١٩٦١)

ويوجد الآن مرقد فى جوار غربى انقاض المدينة المندثرة المذكورة يسميه العامة مرقد (مير ابو الحسنين) ولكنى اعتقد انه اما مرقد والي البصرة صالح بن الخليفة هارون الرشيد أو مرقد سلمان بن علي العباسى وعليه

قبة شاهقة من الآجر واقعة فى قرية كوت الزين وتعقد له النذور والزيارات وان قرية كوت الزين وضواحيها القديمة كدير (قاووس) جنوبى البصرة هى الابلة النبطية الكلدانية التى استولى كورش ملك الفرس عليها سنة ٥٣٨ق ب وبقيت فى ايدي الفرس حين انقض عليهم المسلمون وانتزعوها من ايديهم .



(ضريح سلمان بن علي العباسى) والي البصرة سنه ١٣٣ هـ ٧٥٠ م وهو عم الخليفتين السفاح والمنصور توفى بالبصرة وهذا مرقده

وصف الابلة

كانت الابلة وما حولها من البقاع تسمى بارض الهند وكانت عظيمة الشأن فى التاريخ يقصدها تجار الهند وفارس والصين وهي جانبان شمالي وجنوبى وفى الجانب الشمالي اصل البلدة حيث تقع على الضفة الغربية من شط العرب الكبير وفيها القصور والمساجد والاربطة والاسواق وفى الجهة الجنوبية منها التى تسمى بشط عثمان وفيها ايضاً محلات ومساجد واربطة وقصور واسواق وليس فى العالم اكثر نظارة وبهجة من الابلة وفيها البساتين الزاهية

والفواكه الكثيرة المتعددة والجسور العديدة الجبارة والاسواق والمحلات العامرة المزدحمة كما قال عنها خالد بن صفوان ما رأيت ارضاً مثل الابلة مسافة ولا اغذي نقطة ولا أوطأ مطية ولا اربح لتاجر ولا احنى لعائذ . . . وقصورها وبساتينها متصلة على جانبي نهرها ولله در بن ابى عينية اذ قال فى نهر الابلة حين يتشوق الى البصرة :

ويا حبـــذا نهر الابلة منظراً إذا مد فى إبانه الماء أو جزر
ويا حسن تلك الجاريات اذا غدت مع الماء تجري مصعدات وتنحدر

معجم البلدان ج٢ ص ٢٠٥ كأنها بستان واحد قد مدت على خيط واحد وصفت بالمجالس الحسنة والمناظر الانيقة والابنية الفاخرة والعروش العجيبة والرياحين الفواحة العطرة والبرك الفسيحة المرصوفة والانهر المتشعبة للمتنزهين بغرائب الملاذ والتحف المتظرفين فيها منحدرين فيها ومصعدين وبالاخص ما كان بهم الناس فى يوم عيد الشعانين النصارى وتشترك معهم بقية الملل تشنف اسماعهم آلات الطرب ومعهم انواع الخمور واطيب المشروبات ينسابون بزوارق جميلة فى انهارها وكم خرج الى هذا النهر جماعة من الادباء متنزهين كامثال ابي الاصبع ذؤيب بن ربعي الهذلي وصباح بن خاقان المنقرى ويحي الارقط وعيسى بن غصين وابن الكهل مولى بنى تميم وعبد العاشقين وابو نؤاس فى طفولته معهم وكما يفعلون الآن فى نهر الخورة اهالي البصرة عندما يحل عيد الربيع فى يوم ٢١ مارت بكل سنة وتنتشر الزوارق وافواج الجماهير يصحبون معهم آلات الطرب ويشتركون فيه عشرات الالوف من البصريين وغيرهم .

وقد نسب الى الابلة جماعة من رواة العلم منهم ـ شيبان بن فروخ الابلي وحفص بن عمر بن اسماعيل الابلي وابنه اسماعيل ابو بكر الابلي وابو هاشم كثير بن سليم الابلي وابو غسان الطبيب الابلي .

وكان يعين عليها عمال ومرجعهم والي البصرة ومن جملة من عين لها ابو المليح الهذلي واسمه عامر بن اسامة بن عمير وانس بن سيرين اخو محمد

ابن سيرين العلامة الشهير وغيرهم .

وقد اشتهر اغلب سكانها فى الشح والبخل واليك ما ذكره الجاحظ فى كتابه البخلاء ص١٠٥ ويكون الزائر من اهل البصرة عند الابلي مقيما مطمئناً فاذا جاء المد قالوا ما رأينا مداً قط ارتفع ارتفاعه وما اطيب السير فى المد الى البصرة اطيب من السير فى الجزر الى الابلة فلا يزالون به حتى يرى لابد من السير للبصرة فى المد وهم يشيرون بذلك الى دفع ضيوفهم والتخلص من اكرامهم .

اندراس الابلة وخرابها

عندما استولى زعيم الزنج (علي بن محمد) فى سنة ٢٥٥ - ٢٥٧ ﻫ وعاث فى البصرة فساداً كما أوضحت كتب التاريخ ودخل ليلة الاربعاء ٢٥ رجب ٢٥٦ ﻫ مدينة الابلة فقتل فيها خلقاً كثيراً واحرق المدينة وكانت مبنية بخشب (الساج) محفوفة البناء متكاتفاً فاسرعت فيها النار وصادف ريحاً عاصفاً فطار شرر ذلك الحريق حتى وصلت شاطيء عثمان فاحترق وغرق فى نهر الابلة خلق كثير واندرست مدينة الابلة فى اواسط القرن السابع الهجري لما جاء الرحالة ابن بطوطة فى أوائل القرن الثامن الهجري الى البصرة ثم انحدر الى الابلة وجد ان معظمها خراب وقصورها متداعية دالة على عظمها كما اندرست فى ذلك الزمن مدينة (المذار) المسماة اليوم (بعبدالله بن علي) فى شرقي دجلة الواقعة فوق ناحية العزير بعد القرنة .

اما نهر الابلة الثانى الضارب مقوساً الى البصرة فقد باشر فى حفره أبو موسى الاشعري وحفر ما انطم منه زياد بن ابيه .

نبذة عن تاريخ البصرة العظمى

كانت تسمى (تردم) الكلدانية وسميت بعد انقراضها (الخريبة) ثم

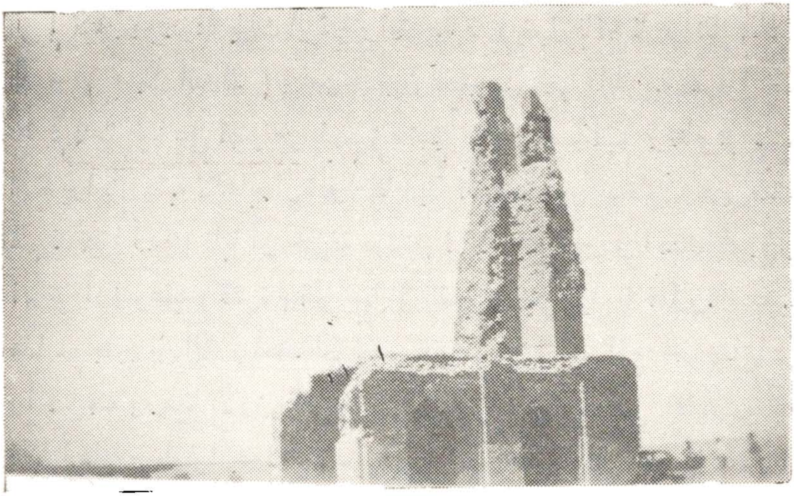
سميت البصيرة وبعدها أسست البصرة عليها سنة ١٤ ﻫ بخلافة امير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب (رض) وللمؤرخين اصطلاحات فيها يشركون البصرة والكوفة ايضاً وكذلك اذا قيل (المصران) فيقصد بذلك البصرة ومصر . ومما قيل فى المصرين ان البصرة ومصر جناحا الدنيا مثل الدنيا على شكل طائر وجناحاها البصرة ومصر وكثير من المؤرخين ينعتها (بأم العراق) و (خزانة العرب) و (عين الدنيا) و (ذات الوشاحين) و (البصرة العظمى) و (البصرة الزاهرة) والبصرة الفيحاء .

فالبصرة بصرتان ـ البصرة العظمى الاولى هى فى العراق والثانية بالمغرب قرب طنجة . قال الشرقى بن القطامى ان المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها نظروا اليها من بعيد وابصروا الحصى عليها فقالوا ان هذه ارض بصرة (حصبة) فسميت بذلك . وقال ابن الانباري وقطرب وابن الاعرابى ـ البصرة الارض الغليظة التى فيها حجارة صلاب تقطع حوافر الدواب وانما سميت البصرة لغلظتها وشدتها وترى تلك الحجارة فى اعلى المربد . وقال محمد بن شرحبيل بن حسنة انما سميت البصرة لان فيها حجارة صلبة سوداء .

أول مجيء العرب وتسمية البصرة

قبل فتح القادسية كان سويد بن قطبة الذهلي (وبعضهم يقول قطبة بن قتادة) يغير بناحية الخريبة من البصرة ـ قبل تسميتها ـ على العجم كما كان المثنى بن حارثة يغير بناحية الحيرة وفى تلك الاثناء قدم رجل من بنى سدوس يقال له ثابت بن سويد الى سيدنا عمر (رض) وقال يا امير المؤمنين انى مررت بمكان دون دجلة (يعنى شط العرب فيه قصر ومسالح للعجم يقال له الخريبة ويسمى ايضاً البصيرة بينه وبين دجلة اربعة فراسخ (اثنى عشر ميلا) له خليج بحري والماء الى (اجمة قصب) فاعجب ذلك سيدنا عمر وكان قد بلغه

من خبر سويد بن قطبة وما يصنع فى اطراف الخريبة (البصرة قبل تسميتها) فرأى ان يوليها رجلا من قبله فولاها عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب وقد



بقايا من آثار مسجد جامع البصرة العظيم الذي انشا فى سنة ١٤ هـ - ٦٣٥ م .

وهذا الاثر مصداق لحديث ورد عن الرسول الاعظم (ص) ذكره الامام علي (رض) فى خطبة له فى مسجد البصرة فى وقعة الجمل : ليأتين عليها (اي على البصرة) يوماً لا يرى منها إلا شرفات جامعها كجؤجؤ السفينة فى لجة البحر .

(صور فى ايلول ١٩٦١)

بلغ الخليفة اخبار فتوح الحيرة فقال لعتبة ان الحيرة قد فتحت فأت انت ناحية البصرة واشغل من هناك من اهل فارس والاهواز وميسان (ناحية العزير اليوم) فتوجه اليها عتبة فى اربعين رجلا منهم نافع بن الحارث بن كلده

الثقفي واخته (أزدة) زوجة عتبة ومعهم ابو بكرة وزياد بن ابيه وكان زياد اذ ذاك صغير السن له ذؤابة . فلما اتوها ابصروا ارضها من بعيد فرأوا الحصى فيها فقالوا ارض بصرة (حصبة) ونزلوا على طرف البر بين (المربد) التي لم تكن موجودة بذلك الوقت والخريبة . ويقول نافع لما رأتنا دبادبة الفرس (رجال الدرك) ونحن قادمون عليهم من جهة الخريبة هربوا مع قائدهم فاستولينا على قصر مرزابهم (قائدهم) وعلى مسالحهم ومخافرهم فلما استقروا قال عتبة لاصحابه ارتادوا لنا شيئاً نأكله فاخذوا يبحثون عن طعام لهم فدخلوا أجمة (غابة أو حديقة مهملة) فوجدوا زنبيلين فى احدهما تمر وفى الآخر أرز وعليه (قشرة) فاتوا بها الى القصر واخرجوا ما فيها وقال عتبة هذا سم يشير الى الأرز أعده لكم العدو فلا تقربنه . قال نافع اخرجنا التمر وأكلنا منه ورمينا الأرز واذا بفرس قد قطع قياده اقبل على الارز يأكله فاقبلوا عليه وحاولوا بشفارهم (سيوفهم) يريدون ذبحه قبل أن يموت فقال صاحبه امسكوا عنه احرسه الليلة فان احسست بموته ذبحته فلما اصبحوا فاذا الفرس يروث لا بأس عليه فقالت (ازده) لاخيها نافع انها سمعت اباها الحرث بن كلده يقول ان السم لا يضر اذا نضج (طبخ) ثم أخذت من الارز واوقدت تحته ناراً ثم قالت انه ينقشر عن حبيبات حمراء ثم تصير بيضاء واستمرت فى طبخه حتى انماط قشره فالقته فى جفنة (اناء) فقال لهم عتبة اذكروا اسم الله عليه وكلوه فاكلوا منه فوجدوه لذيذاً طيباً فاخذوا بعد ذلك يميطون قشره ويطبخونه ويطعمون منه اولادهم ويظهر لنا ذلك ان العرب كانوا يجهلون معرفة الارز واكله . وبعد ان استقر العرب فى ارض الخريبة كتب عتبة بن غزوان الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يستأذنه فى تمصير البصرة وقال لا بد للمسلمين من منزل اذا شتا شتوا فيه واذا رجعوا من غزوهم لجأوا اليه فكتب اليه عمر ان اردت لهم منزلا قريباً من المراعي والماء فاكتب الي بصفته فكتب الى عمر انى قد وجدت أرضاً كثيرة القضة

(اي الحصى) فى طرف البر الى الريف ودونها منافع فيها ماء وفيها قصب ولما وصل هذا الجواب الى عمر قال هذه ارض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحطب وكتب اليه ان انزلها فنزلها وبنى مسجدها من قصب وبنى دار امارتها والسجن والديوان وحمامات الى الامراء وبنى كل ذلك من القصب مع بقية بيوتهم وكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءه كما كان .. وكان تمصير البصرة فى ربيع الاول سنة ١٤ هـ قبل الكوفة بستة اشهر وفى رواية اخرى ان سيدنا عمر لما وجه جيوش المسلمين الى فتح العراق تحت قيادة سعد بن ابى وقاص ولما ظفر المسلمون بفتح ارض الحيرة وما قاربها كتب اليه عمر بن الخطاب ان ابعث عتبة بن غزوان الى ارض الهند (الابلة) ـ قبل ان تسمى البصرة ـ فان له من الاسلام مكاناً فلينزلها ويجعلها قيرواناً للمسلمين ولا يجعل بيني وبينهم بحراً .

فتح الابلة

وجاء من قول نافع بن الحارث بن كلده اننا التأمنا فبلغنا ستمائة رجل وستة نسوه احداهن اختى (يقصد ازده زوجة عتبة) وكان بينهم ايضاً هرثمة بين عرفجة الذي كان بالبحرين فشهد بعض هذه الحروب ثم سار الى الموصل قال نافع لما التأمنا قلنا الا نسير الى الابلة فانها مدينة حصينة فسرنا اليها ومعنا (العنز) وهى جمع عنزة وتكون اطول من العصا واقصر من الرمح وفى رأسها زج (حديد) وكانت معهم سيوفهم . قال جعلنا للنساء رايات من قصب وامرناهن ان يثرن التراب وراءنا حين يرون اننا قد دنونا من المدينة فلما دنونا منها صففنا اصحابنا وكان فى المدينة دبادبتهم (رجال الدرك)وقد رأونا من بعيد قادمين عليهم والغبار هائج خلفنا فاعد سكان المدينة سفناً فى دجلة (شط العرب) وخرج الدبادبة الى صد هجومنا مسومين بالحديد لا يرى منهم سوى الحدق (عيونهم) قال نافع فوالله ما خرج احدهم الينا حتى رجع بعضهم الى بعض

قتلا وكان الاكثر قد قتل بعضهم بعضا وقد هربوا ونزلوا الى السفن وعبروا الى الجانب الآخر اي الشرق من شط العرب وقد انتهت الينا نساؤنا وفتح الله علينا هذه المدينة ودخلناها وحوينا متاعهم واموالهم وسألناهم ما الذي هزمكم من غير قتال فعرفتنا الدبادبة ان كميناً لكم قد ظهر على رهجه (غباره) يقصدون النساء فى اثارتهن التراب .

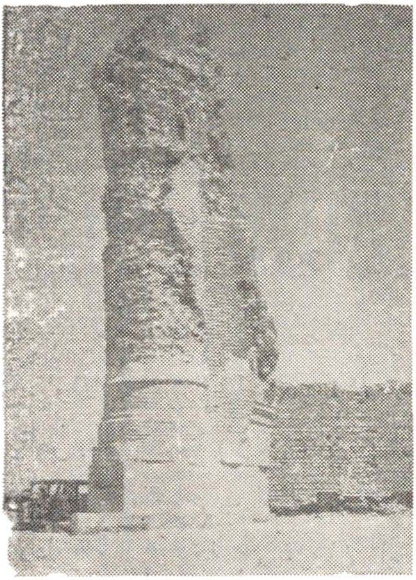
يقول البلاذري : لما دخل المسلمون الابلة وجدوا خبز الحواري وهو الصمون الخاص الذي يعمل منه الآن فى (الفرن) فلما رأوا خبز الحواري قالوا هذا الذي كانوا يقولون عنه انه يسمن فلما اكلوا منه جعلوا ينظرون الى سواعدهم ويقولون ما نرى سمنا ؟

بعد انتهاء فتح الابلة عبر الفرات (شط العرب) فهجموا على كورة (بهمن اردشير) - بهمنشير الآن - فخرج عليهم اهلها بسلاحهم فظفر بهم المسلمون وكانت زوجة عتبة تشجع المؤمنين على القتال وهى تقول ان يهزموكم يفعلوا فينا كذا وكذا . . ففتح الله على المسلمين تلك المدينة (الابلة) واصابوا غنائم كثيرة من متاع وسلاح وسبي وعين ونقود وولى عتبة نافع بن الحارث على قبض ايراد مدينة الابلة فأخرج خمسه وقسم الباقى على جيش المسلمين وأصاب كل واحد منهم درهمين والمبلغ كان ستمائة درهم وقد قال الطبري رواية عن المثنى بن موسى بن سلمى عن ابيه عن جده قال شهدت فتح الابلة فوقع لي فى سهمي قدر نحاس فلما لحصتها فاذا هى ذهب فيها ثمانون الف مثقال (هكذا . . .) فكتب بذلك الى سيدنا عمر (رض) فورد الجواب انه لما اخذها يعتقد انها نحاس فان حلف سلمت اليه والا قسمت بين المسلمين فحلف فسلمت اليه .قال المثنى وثروتنا اليوم اصلها منها وكان فتح الابلة فى شهر شعبان سنة ١٤ ﻫ .

بشارة الرسول الاعظم (صلعم)

عن تأسيس البصـــرة

لقد بشر الرسول الاعظم (صلعم) عن فتحها وتأسيسها كما جاء ذلك فى خطبة الامام امير المؤمنين سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بعد وقعة الجمل فى البصرة حين ارتقى منبر مسجد جامعها حمدالله واثنى عليه ثم قال (يا اهل البصرة يا بقايا ثمود يا اتباع البهيمة يا جند المرأة رغى فاتبعتم وعقر فانهزمتم اما وانى ما أقول رغبة ولا رهبة منكم غير انى سمعت رسول الله



الأثر الباقى من اطلال جامع البصرة القـــديم

الذى اسس فى سنة ١٤ هـ ٦٣٠

(صلعم) يقول تفتح ارض يقال لها البصرة أقوم أرض الله قبلة قارؤها اقرأ الناس وعابدها أعبد الناس وعالمها أعلم الناس ومتصدقها أعظم الناس صدقة.

منها الى قرية يقال لها الابلة اربعة فراسخ يستشهد عند مسجد جامعها وموضع عشورها ثمانون الف شهيد الشهيد يومئذ كالشهيد يوم بدر معي وهذا الخبر بالمدح اشبه . يا أهل البصرة يا بقايا ثمود دينكم نفاق واحلامكم دقاق وماؤكم زعاق يا أهل البصرة والبصيرة والسبخة والخريبة أرضكم أبعد أرض من السماء واقربها من الماء واسرعها خرابا وغرقا الا واني سمعت رسول الله (ص) يقول ما علمت ان جبرائيل حمل جميع الارض على منكبه الايمن فاتاني بها الا واني وجدت أهل البصرة أبعد بلاد الله من السماء واقربها من الماء واخبثها تراباً واسرعها خراباً ليأتين عليها يوم لا يرى منها الا شرافات جامعها كجؤجؤ السفينة في لجة البحر ثم قال ويحك يا بصرة ويلك من جيش لا غبار له . قيل يا امير المؤمنين ما الويح وما الويل فقال الويح والويل بابان فالويح رحمة والويل عذاب . .

بناء البصرة من (لبن) فى ولاية

ابي موسى الاشعري سنة ١٧ هـ

بعد رجوع عتبة بن غزوان الى المدينة وتمصير البصرة وانهاء الفتوحات والاستيلاء على الخريبة والابلة وما يقابلها والتوسع الذي حصل على يدالقائد العظيم سعد بن ابي وقاص بطل القادسية (رض) كان يكاتب عتبة بن غزوان كما يكاتب غيره من زعماء الصحابة فى حرب العراق بصفته القائد العـــام فى الأمور العسكرية والادارية ولكن عتبة بن غزوان امتعض وأنف ذلك باعتبار انه مرسل من قبل الخليفة نفسه سيدنا عمر بن الخطاب ورجع الى المدينة يشكو سعداً ولكن سيدنا عمر اصر على رجوعه الى العراق فرجع مطيعاً لامر الخليفة الى البصرة وفى سيره فى البادية سقط من راحلته فتوفى فى معدن بنى سليم سنة ١٤ - ١٥ هـ ولم يدرك البصرة فامر عمر المغيرة بن شعبة والياً على البصرة ولما عزل المغيرة بن شعبة عن ولاية البصرة سنة ١٥ هـ ولي الخليفة عمر عليها

ابا موسى الاشعرى وذلك سنة ١٦ ه ولما وليها ابو موسى الاشعري كانت بيوتها وجامعها لا زالت من قصب ولكن فى سنة ١٦ - ١٧ ه حدث حريق هائل فى البصرة والكوفة التهمت نيرانه جميع بيوتهم وكان هذا الحريق قدالقى الرعب فى قلوبهم وخافوا ان يداهمهم مرةثانية فعندئذ استأذن واليها ابو موسى الاشعري من الخليفة ان يبنيها من اللبن (الطابوق غير المفخور بالنار) فاذن لهم وكتب لهم (افعلوا وتلاصقوا فى البناء ولا يزيدن احدكم على ثلاثة غرف ولا تطاولوا فى البناء) ثم اوضح لهم ان يجعلوا عرض شوارعهم الكبيرة اربعين ذراعاً وعرض الوسط منها عشرين ذراعاً وعرض الازقة سبعة اذرع وسط كل محلة رحبة (ساحة) لمرابط خيلهم مربعها ستون ذراعا . ان الذي قام بتصميم مدينة البصرة هو ابو الحرباء عاصم بن دلف احد بنى غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم وخط جامعها الكبير محجن بن الاذرع الاسلمي من بنى سهم فصار طولها ستة اميال وعرضها ثلاثة اميال ثم امر الخليفة سيدنا عمر الناس السكنى فيها وسير اليها سبعين الف بيت من اشرف بطون القبائل العربيةوكان من ضمنهم عدد كبير من صحابة رسول الله (صلعم) كى يتمموا بقية فتح بلاد فارس ويعلموا اهل البصرة قراءة القرآن الكريم والفقه والحديث فصارت البصرة معسكراً للجيوش الاسلامية لتغزو البلدان كبلاد فارس والهند والسند .

واول مولود ولد فيها هو(عبدالرحمن بن ابي بكرة) فجزر ابوه جزورا اشبع منها اهل البصرة وكان ابو بكرة اول من غرس (النخل) بالبصرة اي بعد الفتح حيث كان النخل موجودا وقال هذه ارض نخيل ثم غرست الناس بعده .

وقال ابو المنذر اول دار بنيت بالبصرة دار نافع بن الحارث ثم دار معقل بن يسار المازني .

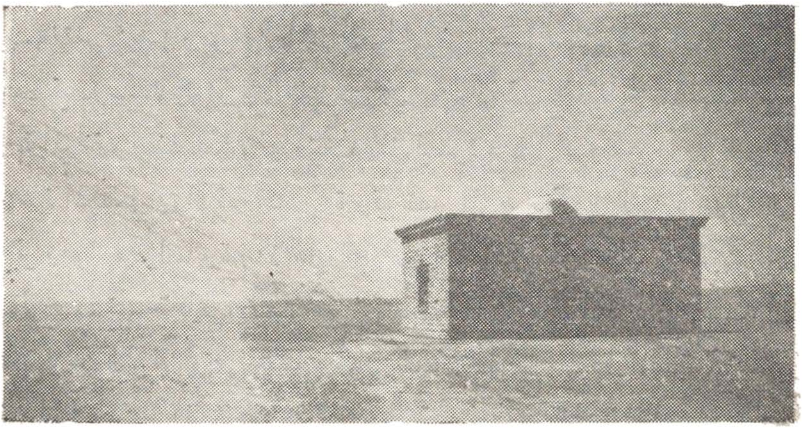
وكانت البصرة تؤدي العشر بخلافة سيدنا عمر من اثمارها فسأل سيدنا

عمر بن الخطاب (رض) ابا موسى الاشعري كيف حال اهل البصرة فقال (انثالت عليهم الدنيا منهم يهلون بالذهب والفضة فرغبت الناس اليها فأتوها مستعجلين)واخذ الناس يفدون اليها من كل حدب وصوب سعيا فى طلب العلم واكتساب المعيشة . وقد روى بعض المؤرخين ان عدد السفائن التي وردت للبصرة من سائر الممالك الغربية والشرقية (بعد ان طار صيتها فى الاقطار) بلغ عددها مائة وخمسين الف سفينة فى العام وكان ربح احد اصحاب السفائن من اهل البصرة فى اليوم الواحد عشرين الف درهم وكان أول خطيب فى جامع البصرة عتبة بن غزوان عندما سافر الى المدينة (قال فى آخر كلامه وستجربون الامراء من بعدي فتعرفون) تلك أول خطبة قيلت فى البصرة ثم اخذت فى اثناء هذا العمران الزاهي تسير بخطوات واسعة نحو الآداب فازدهرت فيها رياض العلم وانبعثت ثمار المعارف ونشأ فيها اكبر مجمع علمي يمد رجال العلم بما يحتاجون اليه فصارت قبة العلم وخزانة العرب وعين الدنيا والبصرة العظمى وبمرور الزمن بلغت مساحتها (٣٦) ميلا مربعاً وقد اتسع نطاق العمران فيها بزخرفة المباني والقصور الشاهقة التى بنيت وطليت داخلها واغلب جدران غرف بيوتهم بالزعفران العطر ودهنت ابواب غرفهم بدهن الورد وكان منهم من يرش ساحة بيته بماء الورد . واثثت بفاخر الرياش ونمقوها بنفائس الحرير وقد بلغوا من الترف الغاية القصوى مما ادى الى خالد بن صفوان ان يقول (نحن اكثر الناس عاجا وساجا وخزا وديباجا بيوتنا الذهب ونهرنا العجب.)

اما البصرة التى فى المغرب فتمد مصرها البصريون عندما توجهت جيوش المسلمين لفتح المغرب فى العهد الاموي واشترك معهم قسم من عرب البصرة وانشأوا هناك مدينة قرب طنجة سموها (البصرة) احياءاً لذكرى اسم وطنهم العزيز وكان سكان تلك المدينة الجديدة زرق العيون حمر الوجوه ناهزي القامة . وقد اندرست تلك المدينة قبل حلول سنة ٤٠٠ هـ .

المربد في البصرة

المربد بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الدال المهملة اسم موضع في ظهر البصرة العظمى (القديمة) من جهتها الغربية على طرف البر (وتقع الآن قبلي ناحية الزبير ومرقد الحسن البصري). لما قدم الفاتحون العرب بقيادة عتبة بن عزوان واصحابه (رض) الى ذلك الموضع وبدوا فيه



مرقد سيدنا طلحة بن عبيد الله بن عثمان الواقع في البصرة القديمة استشهد في وقعة الجمل في البصرة سنة ٣٦ هـ ٦٥٦ م قتله مروان بن الحكم وله من العمر اربعة وستون ودفن في البصرة .

« اي اناخوا فيه ابلهم، ودوابهم فسمي بذلك (المربد) . وفي اساس البلاغة للزمخشري (وربدت الابل ربطتها .. الخ) وما جاء من قول الاصمعي (المربد كل شيء حبست فيه الابل ولهذا قيل مربد النعم في المدينة وبه سمي مربد البصرة) .

كان المربد في اول الامر مناخا ومحطا للقوافل التي ترد البصرة او تصدر عنها وهكذا كان شأنه في اول عصر الخلفاء الراشدين سوقا عامة تباع فيه

اللوازم من التمور والابل والسلاح والغنائم التي كانت تقسم على المحاربين من اهل البصرة وقد سكن المربد قسم من القبائل التي ارسلها سيدنا عمر لسكنى البصرة بما فيهم من فقهاء ووعاظ وفصحاء وشعراء من صحابة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ان بنيت البصرة من اللبن وبنيت فى المربد آنئذ مساجد واسواق منها مثلا سوق (الدباغين) وقصر (زربي) وقصر جعفر بن سليمان العباسي . وقد اصطبغت حياة المربد بصبغتين سياسية حربية وعلمية ادبية دونتها كتب التاريخ . فالاولى فى الحركة السياسية المشهورة بوقعة الجمل بعد مقتل عثمان (رض) فلما تحركت الجيوش من الحجاز قادمة الى البصرة تحت قيادة سيدنا الزبير وطلحة ومن كان معهم دخلت على المربد فاحتلته من جهة الميمنة واحتل عثمان بن حنيف والي البصرة من قبل سيدنا علي رض الله عنه ميسرة المربد وهى الوقعة المشهورة وقد غص المربد بالجماهير الغفيرة من الناس (لو رموا حجرا ما وقع الا على رأس انسان) وكثير من سكان المربد على سطوح بيوتهم يتحاصبون مع جيوش سيدتنا عائشه بالحجارة ودار جدال عنيف بين الطرفين وحمي بينهم وطيس الكلام فتكلم طلحة فأنصتوا له ثم تكلمت عائشه وكانت جهورية الصوت فاستنهضت اهل البصرة لمقتل عثمان واخذ الثأر من المعتدين فأجابها قليل ورد عليها قوم وحايد قوم ثم كان ماهو معروف فى بطون التاريخ .

اخذ المربد يتسع مركزه ويرتفع شأنه فصار محلة كبيرة وسوقا عظيمة فى ابان عهد الامويين فصار مدرسة البصريين يتلقون فيها غذاء العقل والروح غير ما كانوا ينشدونه من غذاء المادة . ولعل الفرصة هى التي هيأت ذلك فقد كانت الحروب والمعارك والجهاد تشغلهم عن ذلك فاخذت وفود الاقوام العربية تؤم المربد من فصحاء وشعراء وادباء فصار معرضا لكل قبيلة تعرض فيها شعرها ومفاخرها وآدابها وتاريخها واصبح مجتمعا عظيما بعد ان اخذ سوق عكاظ فى الجاهلية فى الخمول والاندثار فصار المربد صورة معادلة فى

الاسلام لسوق عكاظ فى الجاهلية ولئن كان لعكاظ فى الجاهلية الأثر الكبير فى اللغة العربية بألفاظها واساليبها ومفاخرها فان للمربد ايضا اعظم أثر منه باختلاف المكانين وتباين الزمنين .

ويشبه المربد عكاظ فى امر الشعر وحلقاته بل يزيد عليه فلكل شاعر حلقة ومجلس ولكل قبيلة ناد وشاعر يذود عنها ويرد عدوان قريعه من القبيلة الثانية فكثر محصول الادب فى المربد كثرة ملأت كتب الادب والشعر وفى المربد اطفئت ثالث جمرات العرب اطفأها جرير بقصيدته الدماغه وتسميها العرب الفاضحة وسماها جرير الدماغة التي هجا فيها عبيد بن حصين الراعي من بني نمير ومن ضمنهم الفرزدق وهى ثمانون بيتا اولها :

اقلي اللوم عاذل والعتابا ... وقولي ان أصبت لقد اصابا

ومنها -

بها برص بجانب اسكتيها ... كعنفقة الفرزدق حين شابا

حتى يقول - مخاطبا الراعي -

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وبها انطفأت آخر جمرات العرب فى المربد على يد جرير بين الجماهير المحتشدة .

اشتد ولع الناس فى المربد واخذ يؤمه من عاف منهم عيشة المدن وحن الى سابق عهد عكاظ ويؤمه البصريون فى كل يوم صبحا ومساء ومعهم محابرهم ودفاترهم يخرج كل الى فريقه وحلقته وشاعره يكتب ما يتعلمه ويفيد مما استفاد من حلقات اولئك الفحول ومجالسهم فوجدوا من ذلك غذاءا لعقولهم كما التمسوا به الراحة من محن الفتوحات الاسلامية التى انهكتهم فتشكلت فى المربد مجالس الشعراء وحلقات الادباء يؤمها كل يوم الامراء والاشراف وسائر الناس يتشاورون ويتناشدون ويتفاخرون ويتناصرون وحولهم

الناس يسمعون ويسجلون . لقد دون الادباء فى كتبهم ما استقوه من المربد ما يعجز تعداده سواء فى الادب واللغة والبيان وافانين الشعر الى غير ذلك فقد فصل كتاب النقائض ما كان بين جرير والفرزدق من المهاجاة والمفاخرة ولكل منهما عبقرية بعيدة الغور تفتق له من الشعر الواناً تشغل بها السامعين من البدو والحضر وكان لكل شاعر حلقة يملأ فيها ماضغيه فخرا بقبيلته وهجاء لقبيلة خصمه .

هذا جرير قد وقف فى ساحة المربد وقد لبس درعا وسلاحا تاما وركب فرسا اعاره اياه ابو جهضم عباد بن حصين الحبطي فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب وشي وسوار وقام فى مقبرة بني حصن ينشد بجرير والناس يسمعون فيما بينهما باشعارهما فقال الفرزدق وقد وجد فى لباس جرير والدرع مادة لهجائه نذكر منها هذين البيتين وهى قصيدة طويلة .

وان كليبا اذ اتتني بعبدها　　　كمن غره حتى رأى الموت باطله

رجوا ان يردوا عن جرير بدرعه　　　نوافذ ما ارمى وما انا قائله

فلما علم جرير ان الفرزدق عليه ثياب وشي وسوار انتهزها فرصة فقال :

لبست سلاحي والفرزدق لعبة　　　عليه وشاحا كرج وجلاجله

فاضحك الناس من خصمه .

ولنعرض صورة حية من صور المربد الشهيرة وهى لاشك اروع منظر شهده المربد . فقد كان الراجز المشهور ابو رؤبة « العجاج » على ناقة قد اجاد رحلها محتفلا بجبة خز وعمامة ثمينة فى وسط المربد وحوله الناس مجتمعون ينشد قوله « قد جبر الدين الاله فجبر ... الخ » ثم ذكر قوم ابى النجم العجلي الراجز وهجاهم فانطلق رجل من بكر بن وائل يشتد عدوا من المربد الى ابى النجم فى بيته فقال له يستحثه وهو يلهث ـ انت جالس وهذا العجاج

يهجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس . فتحرك ابو النجم وقال ـ صف لي حاله وزيه الذى هو فيه . فوصف له فقال « أبغني جملا طحانا قد اكثر عليه من الهناء » «اي جمل مطلي بالقطران فى موضع الجروح » فجاء اليه بجمل كله قروح وقطران فاخذ ابو النجم سراويل له فجعل احدى رجليه فيها واتزر



١ ـ مرقد الحسن بن ابى الحسن البصري

٢ ـ مرقد محمد ابن سيرين

٣ ـ ضريحي السيد عبدالرحمن ومحمد سعيد نقيب البصرة

صورت فى ايلول ١٩٦١

بالاخرى وركب الجمل ودفع خطامه الى من يقوده فانطلق الى المربد وقد لحقه ما لا يحصى لما رأوا من الهيئة الغريبة حتى دنا من العجاج فى حلقته فقال لقائد جمله اخلع خطامه فخلعه واخذ ابو النجم ينشد ارجوزته « تذكر القلب وجهلا ما ذكر ... » والعجاج على ناقته يسمع وجعل جمل ابو النجم

يدنو من ناقة العجاج ويتشممها والعجاج يتباعد عنه لئلا يفسد ثيابه الخز ورحله الثمين بالقطران ولا زال الجمل يتقرب بالناقة والعجاج يتقهقر حتى وصل ابو النجم فى انشاده الى قوله . شيطانه انثى وشيطانى ذكر .

فثارت عاصفة من الضحك والاستحسان من كل صوب وضج بها المربد وهرب العجاج عنه .

ومما جرى فى المربد بين اعرابى وبين زوجته من كلام حدث بينهما فشتمته فقال اسكتى . فوالله ما شعرك بوارد وما فوك ببارد ولا ثديك بناهد ولا بطنك بوالد ولا الخير فيك بزائد ولا الشر فيك بواحد ولا انا لك بحامد ولا بعد صوتك بواجد (شرح المقامات ج ٢ ص ٢٧٩) .

ومما شهد المربد فى عصر اولئك الفحول ما دار بين الاخطل والبعيث وذي الرمة (غيلان) والخياط الشاعر وما صار بين النابغة الجعدى وأوس بن مقرأ وغيرهم من فحول الشعراء والعلماء واستمر المربد يؤدى اغراضه زمناً غير يسير ثم اضحى فى الصدر العباسى الاول يؤدى غير تلك الاغراض اذ ان العصبية القومية ضعفت فى النفوس بمهاجمة الفرس للعرب وكثرت الاغلاط فى اللغة واللحن المعيب فى الكلام والتأليف وأحس العرب بما هم فيه من خطر من حيث هم امة لا فرق بين عدنانيهم وقحطانيهم ولكنهم لا يستطيعون مقاومة ولا دفاعا وقد قوي نفوذ الفرس وغلبوا العرب فى اغلب المدن العربية وبدأ الناس فى البصرة يحيون حياة اجتماعية هى اقرب الى حياة الفرس وانصرفوا عن مثل النزاع الذى كان ينازعه جرير والفرزدق والعجاج وغيرهم . وقد فشا اللحن بين اهل البصرة كما فشا فى غيرها من المدن العربية بتأثر الموالي الذين امتزجوا بهم فتحول المربد يؤدى غرضاً يتفق وهذه الحياة الجديدة فكان يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ولكن ليأخذوا عن الاعراب القادمين من قلب البادية الى المربد ـ الملكة الشعرية واللغة ـ ويقتفون آثارهم ويصلحون معوج اللسان واللحن الفاشى فكم خرج الى المربد

(بشار) وابو نؤاس وامثالهم وكم خرج اللغويون يأخذون ما ينشدونه من فصيح اللفظ وأصيل الكلم وينبث النحويون يسمعون من الاعراب ما يصحح قواعدهم ويؤيد مذاهبهم حتى اشتد الخلاف بين البصريين والكوفيين وتعصب كل لمذهبه حتى فاق البصريون وكان اهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد كما كان اهم مدد ايضاً لحلقات علماء اهل البصرة المسجد الجامع الكبير فى البصرة .

وقد اخذ المربد فى دوره الثانى يعلو شأنه وتستجيب له اسباب الكمال حتى برز منه فحول الشعراء وعلماء اللغة والنحو والادب ورواة الشعر والحديث والاخبار . فمن ابطاله البارزين (بشار . وابو نؤاس والاصمعي وابو عمرو بن العلاء والمقفع الاديب الفيلسوف المشهور . والمازنى والمبرد والجاحظ الذي اخذ النحو عن الاخفش وتعلم الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من المربد وغير هؤلاء كثيرون) .

ففى المربد لقى الاصمعي ابا عمرو بن العلاء احد اساطين اهل البصرة فى العلم والزهد فسأله ما وقوفك هنا يا اصمعي فاجابه انى احب المربد واكثر الجلوس فيه فقال ابو عمرو الزمه فانه يشد النظر ويجلو البصر ويجمع بين ربيعه ومضر .

وفى العصر العباسى الاول بلغ المربد من العمران والابهة اوج الرفعة بكثرة قصوره الجميلة ومنتزهاته واجمل قصر كان فيه قصر محمد بن جعفر بن سليمان العباسى حتى قال فيه جملته المشهورة (العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد) ولمحمد بن جعفر العباسى آثار شائعة فى المربد منها انشاؤه حوضاً كبيراً للماء فى احدى ساحاته فكان المربد منتزهاً يقصده البصريون لترويح النفس والبدن . كانوا يقصدونه للعلم والتشاور والتجارة وقد جمع ايضاً بين بطولة القوة والصراع والمبارزة الى جانب بطولة الشعر والادب والخطابة والمجون

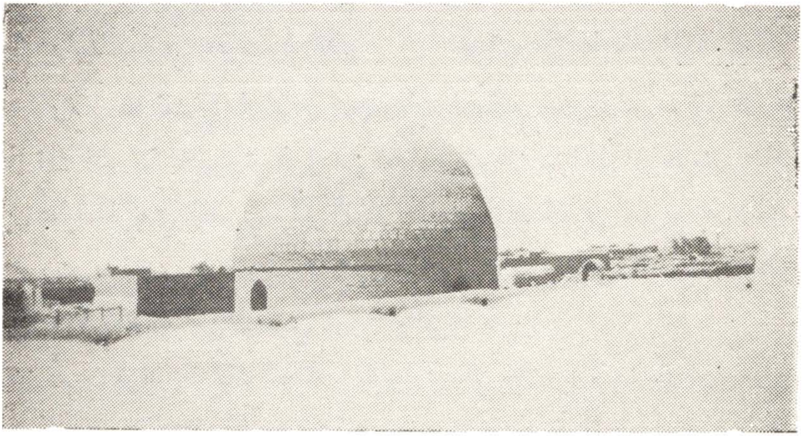
خراب المربد على يد صاحب الزنج

بقي المربد على حاله تلك سنين واعواما مدرسة العالم العربي والاسلامي يمدها بألوان من الثقافة والعلم والرقي العقلي حتى امتدت عليه وعلى البصرة عوادي الدهر بالحرائق والفتن والغارات وكان اهمها الكارثه العظمى التي اتى بها الخبيث الناجم صاحب الزنج (علي بن محمد) في حربه مع اهل البصرة وقد كان مبدأ حركته يوم الاربعاء ٢٦ رمضان ٢٥٥ ﻫ ومنتهاها يوم السبت ٢ صفر ٢٧٠ ﻫ لقد شن على البصرة عدة غارات طاحنة هدم اغلب مساجدها وشب حريق في مسجدها الكبير وهدم القصور والبيوت وفتك بالناس بقساوة ووحشية وقتل ألوفاً من سكانها فأحرق منازلهم واسواقهم وكتبهم ومن احدى تلك الغارات الغارة التي حاصر بها الخبيث البصرة من ثلاثة جهاتها في صباح يوم الجمعة ١٧ شوال ٢٥٧ ﻫ فمن جهة المربد ومن جهة محلة بني سعد (التي فيها الآن مرقد سيدنا طلحة) ومن جهة الخريبة التي انشئت عليها البصرة (الآن انشئت عليها محلة الكوت في ناحية الزبير في سنة ١٢٠٠ ﻫ) .

فلما دخل البصرة فتك بأهلها فتكا ذريعا واشعل النيران في انحاء المربد وغيره وكان الناس في هرج واندفاع مما قاسوه منه يبغون الهزيمة والفرار من المربد وخلفهم القاسم بن جعفر بن سليمان العباسي وهو على بغل متقلد سيفه يصيح بالناس ويحكم أتسلمون بلدكم وحرمكم هذا عدوكم قد دخل البلد وهم لا يلوون على اهل ولا مال . وقد وجه ابراهيم الملقب (بريه) بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن سليمان العباسي الى بني تميم يستصرخهم فنهض اليه جماعة اتوا اليه من محلتهم بالخريبة فدار في المربد قتال قرب دار (بريه) العباسي المذكور اسفرت تلك الموقعة عن هلاك الكثير من اهل المربد وانهزام ابراهيم العباسي وتفرق الناس فاحرقت الزنج دار (بريه) ونهبوا ما كان فيها .

ثم بدأ المربد بعد انخذال صاحب الزنج وقتله من قبل (الموفق بالله

العباسي) فى سنة ٢٧٠ هـ يسترجع مكانته الا انه كما قيل شتان بين مشرق ومغرب لم يكن ما كان عليه لتفرق اغلب الناس عنه وقد اعيدت اليه بعض اسواقه وبيوته لرجوع من رجع من البصريين الى وطنهم بعد خرابها وقيل هذا المثل (بعد خراب البصرة) بعد قتل صاحب الزنج . بقي المربد على هذه الحال يكافح نوائب الدهر وعوائق الزمن مدة . فقد دخل مرة ابو القاسم نصر بن احمد الحميري على ابي الحسن بن المثنى فى آخر حريق للمربد اثر حادثة ثانية من قبل مهاجمة ابى طاهر سلمان بن الحسن الجنابي وذلك لما هجم



مرقد سيدنا الزبير بن العوام « رضي الله عنه »
استشهد فى حوادث وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ ٦٥٦ م وعمره ستة وستون سنة

على البصرة وتسلق سورها بالسلالم يوم الاثنين ٢٥ ربيع الثانى ٣٢١ هـ ووضع السيف فى اهل البصرة واحرق المربد ونقض الجامع المسجد وقبر طلحة وهرب الناس واقام بالبصرة (سبعة عشر يوما) يحمل على جماله كل مايقدر عليه من الامتعة والنساء والصبيان (المنتظم ج ٦ وص ١٧٣) .

فقال له ابو القاسم مخاطبا (علي ابي الحسن) ماقلت فى حريق المربد شيئا قال له ما قلت شيئا فقال وهل يحسن بك وانت شاعر البصرة والمربد من اجل شوارعها واسواقها ولا تقول فيه شيئاً اجابه ما قلت ولكن اقول وارتجل هذه الابيات :

أتتكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون ان تجحدوا
فيا مربديون ناشدتكم على انني منكم مجهد
جرى نفسي صعدا نحوكم فمن اجله احترق المربد
وهاجت رياح حنين لكم وظلت به نـاركم توقد
ولولا دموعي جرت لم يكن حريقكم ابدا يخمد

ومع هذا فقد بقي فى المربد شعلة ضئيلة تضطرم بهدى الناس وقد تخرج فى تلك المدرسة المشهورة فحول من العلماء والرواة نسبوا الى المربد منهم سماك بن عطية المربدي البصري وابو الفضل عباس بن عبدالله بن الربيع بن راشد المربدي مولى بنى هاشم وغيرهم كثيرون . والقاضى ابو عمر القاسم بن جعفر بن عبدالواحد العباسى البصري كان ينزل المربد .

ثم ان المربد بعد تلك النكبات والطوارىء التى حلت به لم يبق منه شيء سوى قيراط من عشرين قيراطاً واتخذت بعض عرصات خرائبه مقابر .

ولما اتى السائح ناصر خسرو الى البصرة سنة ٤٤٣ هـ ذكر ان معظمها خرائب وذكر منها ثلاث اسواق سوق خزاعة . سوق عثمان . سوق القداحين . ولم يشر الى ذكر المربد بشيء قط اما ياقوت الرومى (المعروف بكثرة اسفاره للتجارة وتردده على البصرة) فقد ذكر فى كتابه معجم البلدان سنة ٦١٣ انه رأى المربد بائناً عن البصرة فيقول (مربد البصرة من اشهر محالها) وكان يكون سوق الابل فية قديماً وبه كانت مفاخرات الشعراء والخطباء وهو الآن بائن عن البصرة نحو ثلاثة اميال فيستدل من اقواله ان المربد كان فى زمانه شبه قرية خاوية على عروشها بعيدة عما بقي من بيوت البصرة .

واما ابن بطوطه الرحالة فانه لما زار البصرة سنة ٧٢٦ هـ لم يذكر عن اي اثر للمربد فهذا ما يؤكد لنا ان المربد اندرست آثاره قبل مجيء ابن بطوطه بسنين ولم يبق من مشاهد البصرة سوى الجامع الكبير وثلاثة محلات وهذه اندرست عند منسلخ سنة ٨٠٠ هـ وانتقل بقية سكان البصرة القديمة الى ارض البصرة الجديدة . وفى الاخير امسى المربد كما هو فى يومنا هذا برية لا يحد اوله ولا آخره وكأنما لسان حاله يندب ويقول :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا　　أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فصرنا احاديثاً وكنا بغبطة　　كذلك عفتنا السنون الغوابر

المسجد الجامع الكبير الاعظم
فى البصرة العظمى

لقد شهد التاريخ للمساجد بالفضل فى الحركة الاسلامية القومية التى اضاءت جوانب الارض بهديها وتعاليمها كما شهد لها بأكبر الأثر فى توجيه الشعور وتوحيد الصفوف وتكاتف القوى نحو الاغراض التى يبتغيها ولاة الامر ومن بيدهم زمام الامور وكانت المساجد بيوت الله يذكر فيها اسمه وتبث فيها اوامره ونواهيه ويفقه الناس امور دينهم كما كانت ايضاً مجامع ينادى (الامير) من على منبره للخروج فى الجهاد والذود عن الوطن ودفع المغيرين.

كان الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم اذا ابتغوا ان يدعوا الناس للاجتماع ليعلنوا لهم عن امر اعتزموا عمله او نهي يزجرونهم عن اتيانه اشاروا للمؤذن ان يدعو (الصلاة جامعة) فيبادر الناس الى المسجد (فى المدينة) زرافات ووحداناً ينتظرون مايؤمرون وما يفعلون .

وهذا ما كان يؤديه المسجد الجامع الكبير فى البصرة علاوة على ماخلده أبد الدهر من النهضة العلمية الاسلامية وما اخرجه للعالم من فطاحل العلماء والادباء .

بناء المسجد من القصب
وثم من اللبن والآجر
هندسته وجمال بنائه ، انهدامه وآثاره الباقية

عندما فتح عتبة بن غزوان مدينة الأبلة وحين ضرب قيروانه على ارض البصرة فى سنة ١٤ هـ وانه استأذن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه

بتمصير البصرة من (القصب) فأذن له فانشأ مسجداً يؤم فيه اولئك المجاهدون البواسل شعائر دينهم وكان الغزو يلجئهم ان يتركوا محلهم فينزعوا القصب ويحزموه فى محله فأن عادوا بدأوا فى بنائه من جديد . ثم لما التهمت النيران بيوت البصرة بين سنة ١٥-١٦ ه فى ولاية ابى موسى الاشعرى كانت حيطان المسجد التى هى من قصب طعمة للنيران ايضاً فطلب ابو موسى الاشعري امراً من الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب (رض) ان يأذن له ببناء البصرة من (اللبن) فأذن له فكان المسجد من جملة ما بني باللبن ايضاً وطلى جدرانه بالاصباغ. والذي اختط موقع المسجد (محجن بن الاذرع الاسلمى من بنى سهم) وجعل منبره فى وسط الجامع فكان الامير اذا قدم للصلاة تخطى رقاب الناس الى القبلة ودام على هذا الحال زمناً . وقيل ان عبدالله بن عامر بن كريز وكان عاملا على البصرة سنة ٢٩ه من قبل سيدنا عثمان خرج يوماً من دار الامارة فى الدهناء (وهى التى سميت بعد برحبة بنى هاشم) يريد القبلة ليصلى بالناس وكانت عليه جبة (خز دكناء) فجعل الاعراب يقولون على الامير جلد (دب) .

ولما تعين زياد بن ابى سفيان والياً على البصرة سنة ٤٥ ه من قبل اخيه معاوية امر بهدم الجامع وبنائه مجدداً فى موضعه خير بناء واحسنه بالجص والآجر المنحوت وسقفه بالساج وبنى فى داخله مقصورة (المحفل) وهو اول من عمل المقصورة واحضرت سواريه (اعمدته) من المرمر اى الرخام من جبل قعيقعان (واقع بالاهواز منه نحتت اساطين مسجد البصرة) وكان قد صرف عليه اموالا كثيرة وقد وكل على بنائه الحجاج بن عتيك الثقفى وابنه فأثرى هذا ثروة كبيرة من وراء ما صرف على الجامع فظهرت له اموال وحال لم تكن فيه من قبل ففيه قيل (يا حبذا الامارة ولو على حجارة) فذهبت مثلا .

ولما تم بناء الجامع امر زياد ان ينقل المنبر من وسطه ووضعه فى صدره

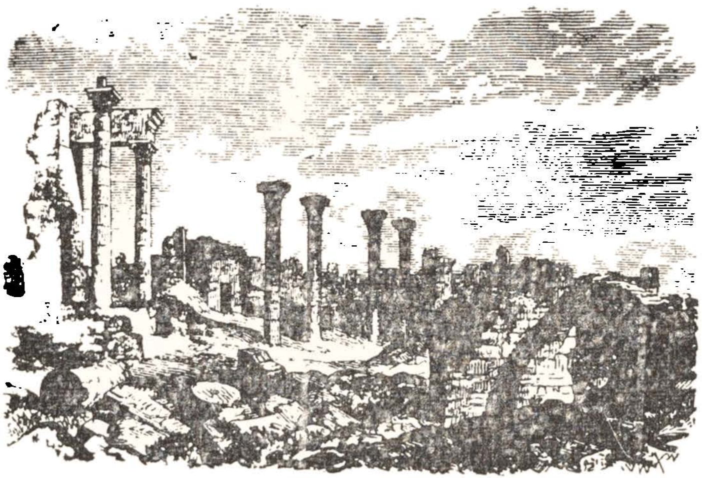
ثم حول دار الامارة من الدهناء الى خلف المسجد من الجهة القبلية وفتح فى حائط المسجد باباً يتصل بدار الامارة يلج منه الامير لدخول المسجد دون ان يتخطى رقاب الناس فى دخوله . وقال لا ينبغي للامير أن يتخطى رقاب الناس ثم اقام حفلة افتتاح كبيرة دعا اليها جمعاً غفيراً من وجوه اهل البصرة واعيانها واخذ يطوف بهم الجامع وهم مأخوذون من روعته وسعة بنائه فلم يعب فيه الا دقةاساطينهحيثان أعمدته كانت رفيعة بالنسبة الىسعته وارتفاعه ومن قول البلاذري انه لما طاف بهم المسجد سألهم اترون خللا قالوا ما نعلم بناء احكم منه فاجابهم بلى هذه الاساطين التى على كل واحدة منها اربعة عقود لو كانت اغلظ من سائر الاساطين لاصبحت اقوى وامتن بناء .

ثم غدا مسجداً كبيراً عظيما اعجب الناس دقة زخارفه وضخامة بنائه وفيه يقول حارثة بن بدر الفدانى .

بنى زياد لذكر الله مصنعه — بالصخر والجص لم يخلط من الطين
لولا تعاون ايدي الرافعين له — اذاً ظنناه اعمــال الشياطين

وفى رواية البلاذري يقال الشعر للبعيث المجاشعي . وكانت ارض المسجد تربة فكان المصلون اذا فرغوا من الصلاة نفضوا ما يعلق بايديهم من التراب فلما رأى زياد ذلك قال لا آمن ان يظن الناس على طول الايام ان نفض الايدي فى الصلاة سنة : فأمر بجمع الحصى والقائه بالمسجد الجامع ولا زال الحصى كما هو الى زمن مجيء الرحالة ابن بطوطة وقد شاهده بنفسه وكانت دار الأمارة بعيدة عن المسجد الجامع فنقلها زياد من الدهناء الى قبلي المسجد وبناها من لبن حتى اذا خرج الامير من دار الامارة قاصداً المسجد مر من حائط القبلة الى منبر المسجد دون ان يتخطى رقاب المصلين . ثم وسع زياد فى حائط المسجد زيادة كبيرة (وهو اول من وضع فى المسجد خمسماية حارس يرابطون فيه ولا يفارقونه) وكان الجانب الشمالي للمسجد منزوياً لأنه دار لنافع بن

الحارث (اخی زیاد من امه سمیة) وقد طلب الیه ان یبیعها للمسجد فأبی ولکن فی ولایة عبیدالله بن زیاد علی البصرة سنة ٥٥ ه من قبل معاویة صمم ان یتم ترابیع المسجد (ان یکون مربعاً) بهدم دار ابن نافع وقال اذا شخص عبدالله بن نافع الی اقصی ضیعته فاخبرونی فشخص ابن نافع الی قصر الابیض (واظنه یقع بوقته قرب الحیرة مما یلی الکوفة) فبعث ابن زیاد فهدم من دار ابن نافع واخذ فی بناء الحائط الذي یستوی به ترابیع المسجد . ولما قدم ابن نافع ورأی ماهدم من داره ضج وصخب من ذلك فقال له ابن زیاد انی اثمن لك واعطیك مكان كل ذراع خمسة اذرع وادع لك خوخة فی حائطك الی المسجد واخری فی غرفتك فرضی بذلك فلم تزل تلك الخوختین فی حائط المسجد الی زمن خلافة المهدي العباسي وكان المؤذن فیه من قبل عبیدالله بن زیاد المنذر ابن حسان العبیدي وبقی المؤذن فیه من بعد فی ولد المنذر المذكور وان المسجد لم یزد فیه احد شیئاً بعد ابن زیاد حتی زمن الخلیفة المهدي فعین ابن عمه محمد ابن سلیمان بن علي العباسي والیاً علی البصرة سنة ١٦٠ ه وكانت البصرة قد بلغت اوج عظمتها ورقیها وقیل ان المسجد قد ضاق حینئذ بالمصلین فاحصي من صلی فیه بوقت من الاوقات فی سنة ١٦١ ه فبلغ عددهم عشرین الفاً فانهی بذلك الی الخلیفة المهدي فأذن له بصرف مئة الف درهم یوسع المسجد بها وادخلت فیه بقیة دار عبدالله بن نافع مع جمیع دار عبیدالله بن ابی بكرة ودار ربیعة بن كلدة الثقفی ودار ام جمیل الهلالیة صاحبة المغیرة بن شعبة ودوراً غیرها ثم فی زمن الخلیفة هارون الرشید أمر بهدم دار الامارة وادخلها من قبلة الجامع فاصبح من أوسع وأعظم المساجد فی وسط مدینة البصرة تتفرع منه الطرق والشوارع یؤمه المصلون وخاصة فی یوم الجمعة من نواحي البصرة واطرافها وان اوضح ما یبین لنا سعته وطول محیطه انه كانت فیه ثمانیة عشر باباً یدخل منها الیه وقیل انه كان فی حیطانه الخارجیة اربعة عشر الف مربط لمرابط دواب المصلین .



صورة لجامع البصرة القديمة الذي اسس فى سنة ١٤ ﻫ نقلا عن دائرة

المعارف للبستانى المجلد الخامس - عمل الرسم فى القرن العاشر الهجري -

ويعدها دهمت البصرة نكبات كثيرة اهمها نكبة (الزنوج) واحراقهم المسجد والبيوت والاسواق ولم يخلف لنا هذا المسجد العظيم من أثر سوى تصوير لجناحه الشرقي كما صوره احد السواح المستشرقين في القرن العاشر الهجري وتلك الصورة موجودة في دائرة المعارف للبستاني في المجلد الخامس في صفحة (٢٤) من صفحات التصاوير تحت رقم (١١١) ولا يوجد من معالم هذا التصوير سوى جانب من زاوية المسجد الشمالية باقية الى اليوم تشهد على عظمته ومجده تناطح السحاب كأنها جؤجؤ سفينة بالية .

ان نجاة هذا الأثر الباقي دليل ومصداق لحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نهاية البصرة ومسجدها رواه سيدنا علي رضي الله عنه في احدى خطبه عن البصرة فبعد ان وصف الامام البصرة روى حديثاً عن الرسول الاعظم جاء في آخر الحديث ليأتين عليها (اي على البصرة) يوم لا يرى منها الا شرفات جامعها كجؤجؤ السفينة في لجة البحر . وانه لاعظم ما يوصف به جانب المسجد اليوم القائم في لجة مترامية الاطراف من الرمال وكأنه جؤجؤ سفينة بالية ويتوهم كثير من غير المتتبعين ان هذا الأثر القائم هو لمئذنة المسجد الجامع ولكن الخبراء في فن البناء والمدققين فيه يرون انه بناء لاحد اركانه وقد داخل هذا الوهم ايضاً الاستاذ عزام في كتابه رحلات عبدالوهاب عزام (ص ١٩١) فأقر انها مئذنة مفردة وهذا غير صحيح .

اما اين ذهبت تلك الاحجار الضخمة وبقايا عمده واساطينه فقد انتهت تقريباً كلها الى دور ناحية الزبير اليوم التي انشئت على قسم من ارض البصرة القديمة في حدود سنة ١١١٨ - ١١٣٠ هـ فاستعمل اهل الزبير كل ما توصلوا اليه من الاحجار والصخور والطابوق لانشاآتهم وبيوتهم ولقد شاهدت قسما من قطع بقايا الاسطوانات الرخامية في (الدرهيمية) التي كان يستقي منها اهالي الزبير قبل ان تصلهم انابيب الماء من البصرة في حدود سنة ١٩٣٧ م . والزائر لآثار المسجد يجد لصق بناية زاوية من ناحية الجنوب رواقاً صغيراً

يتسع لعشرين نفراً تقريباً وهذا الرواق بناه (جدنا) المرحوم الشيخ درويش بن المرحوم الشيخ انس باش اعيان البصرة آل عبدالسلام الكوازي العباسي وذلك في سنة ١١٧٠ ه ليصلي فيه الناس وليحيي ذكر هذا المسجد العظيم ولا زالت آثار هذا الرواق قائمة حتى اليوم .

المعارك الدموية التي وقعت

في المسجد الجامع الكبير

لقد شهد المسجد الجامع عدة معارك دموية خطيرة نذكر منها عـــدة حوادث باختصار .

اولاها : معركة احـــدثت اثراً بليغاً في التاريخ الاسلامي وهي في بدء معركة (الجمل) حين اقبلت للبصرة ام المؤمنين سيدتنا عائشة ومعها طلحـــة والزبير رضى الله عنهم ومن التف حولهم يحضون الناس للتعاون معهم والأخذ بالثأر من قتلة سيدنا عثمان وللاستيلاء على بيت المال في البصرة كي يعينهم فيما يريدون فلما دخلوا البصرة وتحاصبوا في المربد مع اصحاب عثمان بن حنيف والي البصرة من قبل سيدنا علي رضى الله عنه عقد الفريقان هـــدنة وكتبوا بينهما كتاب الهدنة ومن شروطه ان يبعث عثمان بن حنيف رسولا الى اهل المدينة يستطلع رأيهم في بيعة طلحة والزبير وعندما رجع الرسول (كعب بن سور) وقد سمع من الصحابي اسامة بن نذير وبعض الصحابة (دون اهل المدينة) انهما اكرها على (البيعة) كما بعث ايضاً حينئذ الخليفة سيدنا علي الى عامله بكتاب قال فيه (والله ما اكرها الا كرهاً على فرقة وقد اكرها على جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا ...) فاصبح الوضع في البصرة على اثر هذا الاختلاف شديد الخطورة حين تمسك اصحاب الجمل بحقهم وطلبوا اخلاء البصرة من واليها واتباع الخليفة

ويقول الطبري : جمع طلحة والزبير الرجال في ليلة باردة ذات رياح وندى ثم قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء وكانوا يؤخرونها فأبطأ عثمان بن حنيف فقدما للصلاة عبدالرحمن بن عتاب فنهى جماعة (الزط) والسبابجة السلاح وهم من جماعة عثمان وحراس بيت المال ثم وضعوه فيهم فاقبلوا عليهم فأقتتلوا في المسجد وصبروا لهم فاناموهم وهم اربعون وادخلوا الرجال على عثمان ليخرجوه اليهما فلما وصل اليهما توطأوه وما بقيت في وجهه شعرة ... وبعد ذلك اخرجوا الحرس الذين كانوا مع عثمان في القصر ودخلوه (وكان حراس بيت المال اربعين رجلا وقيل اربعمائة رجل من السبابجة والزط (فتوح البلدان للبلاذري) . ثم صلى عبدالرحمن بن عتاب بالناس العشاء والفجر وهكذا بدأت هذه المعركة الدموية في ساحة المسجد الجامع بين فريقين يدافع كل منهما عن رأيه وعقيدته وانتهت باستيلاء الثائرين على دار الأمارة في البصرة وحابس اميرها ثم جرت حوادث يطول شرحها .

المعركة الثانية

في المسجد الجامع الكبير

من ذيول فتنة الخوارج المعلومة وهي ان متمردين خارجيين وهما (قريب وزحاف) وجموعهم لما تمردوا وشقوا عصا الطاعة بعد وقعة (صفين) هجموا على المسجد الجامع وقتلوا فيه خلقاً كثيراً من الناس .

المعركة الثالثة

لطمة تحدث شراً

وهي ان مالك بن مسمع (احد رؤساء بكر بن وائل) كان جالساً في

حلقة فى المسجد من حلقاته الدينية المشهورة وكان فى تلك الحلقة (قرشى) من ولد عبدالله بن عامر بن كريز فنازع القرشى مالكاً واغلظ له (فلطم البكري القرشى فتهايج القوم من ربيعة ومضر فى المسجد والكثرة فى جانب ربيعة فنادى رجل (يآل تميم) فوثب قوم من بنى ضبة على رماح حرس المسجد وترسهم ثم شدوا على الربيعيين فهزموهم فبلغ الخبر رئيس بكر أشيم بن شقيق ابن ثور فاقبل للمسجد فقال لا يجدن ربعي (من ربيعة) مضرياً الا قتله ولكن مالك بن مسمع هدأ الناس وسكنهم وجدد حلف الأزد وربيعة ثم حدثت حادثة مقتل مسعود بن عمرو التى اصطبغ فيها منبر البصرة بدم احد زعماء الأزد ، دب على اثرها فى البصرة شر الشقاق والنزاع بين الازد وتميم وذلك ان مسعود بن عمرو الأزدي كان نائباً عن عبيدالله بن زياد الذي هرب الى الشام بعد وفاة يزيد بن معاوية فكان مسعود على المنبر يبايعه الازديون وغيرهم فهجمت عصابة من الخوارج حتى دخلوا المسجد فأتى مسعوداً علج فارسى يقال له مسلم وضربه فقتله فهجم الأزديون على معسكر الخوارج فى نهر الاساورة وقتلوا منهم وهزموهم ثم أتهم بالقتل بنو تميم فتطاير بينهم الشرر والمعارك .

المعركة الرابعة

لا حكم إلا لله

قال المدائنى دخل رجل من الخوارج مسجد البصرة فحكم فيه (اي دعا وبشر لمذهبه لا حكم إلا لله) فقام اليه رجل من بنى تميم فقتله وبلغ ابن زياد خبره فقال من كان فى المسجد (يعنى من جنده وحرسه) فقيل كان فيه ابو جميلة فلامه ابن زياد وقال لم تقم اليه حتى قتله غيرك فقال انى لو قمت اليه لاحتملته حتى اضرب برأسه الحائط فانثر دماغه ولكنى كرهت ان يقال قام اثنان الى واحد .

المعركة الخامسة

مذبحـــة الحجاج

لما تعين الحجاج والياً على العراقين ـ يعنى البصرة والكوفة ـ سنة ٧٥ ﻫ من قبل عبدالملك بن مروان وامره ان يحتال لقتلهم توجه الحجاج ومعه الفا رجل من مقاتلة أهل الشام يتبعهم اربعة آلاف من اخلاط الناس وتعمد ان يدخل البصرة فى يوم الجمعة قرب اوان الصلاة فلما قرب البصرة رجاله المقاتلة (الالفين) أمرهم ان يتفرقوا على ابواب المسجد على كل باب مائة رجل باسيافهم مخفية تحت ارديتهم واوصاهم اذا سمعوا الجلبة فى داخل المسجد والوقيعة فيهم فليلازموا ابواب المسجد ولا يخرجن احد منهم حتى يسبقه رأسه الى الارض فلزموا ابواب المسجد وكان عددها ثمانية عشر باباً ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل منهم يخفى سيفه تحت ردائه وأوصاهم انى اذا دخلت المسجد فسأكلم القوم فى خطبتى (وسيحصبوننى) فاذا رأيتمونى قد وضعت عمامتى على ركبتى فضعوا اسيافكم (اقتلوا القوم) واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين. فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال. ايها الناس ان امير المؤمنين عبدالملك امير استخلفه الله عز وجل فى بلاده وارتضاه اماماً على عباده وقد ولانى مصركم وقسيمة فيئكم وامرنى بانصاف مظلومكم وامضاء الحكم على ظالمكم وصرف الثواب الى المحسن البريء والعقاب الى العاصى المسيء وانا متبع فيكم امره ومنفذ عليكم عهده وارجو بذلك من الله عز وجل المجازاة ومن خيفته المكافأة واخبركم انه قلدنى بسيفين حين توليته اياي عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة فاما سيف الرحمة فسقط منى فى الطريق واما سيف النقمة فهو هذا (فحصبه الناس) فلما اكثروا عليه الحصب (رموه بالحصباء) خلع عمامته

فوضعها على ركبتيه فقام المكلفون من جنده فى داخل المسجد بالامر الذي اوصاهم به فاخذت سيوفهم تبري الرقاب فسمع الجند الذين على الابواب الوقيعة ورأوا هروب الناس وتسارعهم الى الخروج فتلقوهم بالسيوف ولم يتركوا احداً يخرج ، فقتل منهم ما يقارب السبعين الفاً حتى سالت الدماء الى باب المسجد والى السكك ـ من الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ٢ ص ٣٠ ـ

المعركة السادسة

وقعة زعيم الزنج

لما دخل زعيم الزنج البصرة سنة ٢٥٧ هـ وعبث بها ثم اعلن بالامان لأهلها وامر ان يجتمع الناس بالجامع (وكان يريد التحدث اليهم ويوصيهم)فاجتمع بالمسجد الجامع زهاء مائة الف نفس فلما استقروا وعرف ان لات حين مناص امر بقتلهم جميعاً فصار الجامع بحيرة من الدماء وأمر بهدم الجامع واحراقه وقد هدم فى هذه الوقعة خمسة عشر الف داراً ومائتي جامع .

اما بعد هذه المعارك التى حدثت فى المسجد فلم نعثر على شيء واضح مهم الا انه من المحتمل ان جرت حوادث فردية يسيرة لم تشر اليها كتب التاريخ.

بعض الخطب التى القيت

في المسجد الجامع الكبير

أول خطبة القيت فيه القاها عتبة بن غزوان عندما ترك البصرة

أول من خطب فى المسجد الجامع الكبير بعد انشائه هو عتبة بن غزوان وآخر خطبة له خطبها فى المسجد لما هم بالسفر الى المدينة خطب فى الناس فحمد

الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال . اما بعد فان الدنيا قد تولت حذاء مدبرة وقد آذنت اهلها بصرم وانما بقى منها صبابة كصبابة الاناء يعطيها صاحبها ألا وانكم مفارقوها لا محالة ففارقوها باحسن ما يحضركم ألا وإن من العجب انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الحجر الضخم يلقى فى النار من شفيرها فيهوى فيها سبعين خريفاً ولجهنم سبعة ابواب ما بين البابين منها مسيرة خمسماية سنة ولتأتين عليها ساعـــة تغيظ بالزحام ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة ما لنا طعام الا ورق (البشام) حتى قرحت اشداقنا فوجدت انا وسعد بن مالك تمرة فشققتها بينى وبينه نصفين والتقطت بردة فشققتها بينى وبينه فأتزرت بنصفها وأتزر بنصفها وما لنا احـــد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار وانا أعوذ بالله ان اكون فى نفسى عظيما وفى اعين الناس صغيراً وستجربون الامراء من بعدي فتعرفونى وتنكرون (جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١١٩) وقال الحسن قد جربنا امراء بعده فوجدنا له الفضل عليهم . (تلك أول خطبة قيلت فى البصرة) .

ومن الخطباء الذين تشرف بهم المسجد الجامع

سيدنا علي ابن ابى طالب

رضى الله عنه

بعد انتهاء وقعة الجمل قصد البصرة ورقى منبر مسجدها والتى خطبته المشهورة التى أولها (يا أهل البصرة يا بقايا ثمود ... الى ان قال غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفتح ارض يقال لها البصرة اقوم ارض الله قبلة قارئها اقرأ الناس وعابدها أعبد الناس . وفى ـ الحديث الشريف ـ يستشهد عند مسجد جامعها ثمانون الف شهيد الشهيد يومئذ كالشهيد

يوم بدر معي ، وروى رضى الله عنه حديثاً عن رسول الله (صلعم) جاء فى آخره . ليأتين عليها (اي على البصرة) يوم لا يرى منها إلا شرفات جامعها كجؤجؤ السفينة فى لجة البحر .

خطبة عبدالله بن العباس

رضى الله عنه

خطب فى مسجد البصرة عبدالله بن العباس رضى الله عنه عندما كان اميراً عليها من قبل سيدنا علي ابن ابى طالب امير المؤمنين حين حرض الناس للشخوص مع الاحنف بن قيس الى الامام علي رضى الله عنه لمناجزة اهل الشام بعد فشل التحكيم فقام ابن العباس بعد ان حمد الله واثنى عليه قال (يا اهل البصرة قد جاءنى كتاب امير المؤمنين يأمرنى باشخاصكم فامرتكم بالمسير اليه مع الاحنف بن قيس فلم يشخص اليه منكم إلا الف وخمساية وانتم فى الديوان ستون الفاً سوى ابنائكم وعبدانكم ومواليكم ألا فانفروا ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلا فانى موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته عاصياً لامامه ، حزناً يعقب ندماً وقد أمرت ابا الاسود بحشدكم فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه .

خطبة زياد ابن ابى سفيان

ولعل ارهب خطبة اصطكت لها جوانب المسجد وزلزل بها الناس هى خطبة زياد بن ابى سفيان لما قدم البصرة فى غرة جمادى الاولى سنة ٤٥ ه والياً من قبل معاوية وكان الفساد قد فشى كثيراً فى البصرة فعلا منبر المسجد والقى خطبته البتراء (التى لم يحمد الله فيها . وقيل حمد الله واثنى عليه) وأولها :

اما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموفى باهله على النار

ـ الى ان قال فى آخرها ـ وايم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امريء منكم أن يكون من صرعاي . فكأنما الناس أرادوا ان يختبروه فقام اليه عبدالله بن الاهشم (متملقاً) فقال اشهد ايها الامير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال له زياد ، كذبت ذاك نبي الله داود صلى الله عليه وسلم فقام الاحنف بن قيس وقال (انما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا لن نثني حتى نبتلى فقال زياد صدقت وقال احد الخوارج اسمه ابو بلال مرداس بن أدية . يعيب عليه كيف يأخذ البريء بالسقيم والمطيع بالعاصى فسمعها زياد فقال : انا لا نبلغ ما نريد فيك ومن اصحابك حتى نخوض اليكم الباطل خوضاً .

نبذة من خطبة

الحجاج بن يوسف الثقفى

وهذه نبذة من خطبة الحجاج بن يوسف الثقفى لما قدم البصرة خطب فى مسجدها الخطبة الشهيرة التى يتوعد ويتهدد حيث قال : ايها الناس من أعياه داؤه فعندي دواؤه ومن استطال اجله فعلي ان اعجله . الى ان قال فى آخرها . والله لا آمر احدكم ان يخرج من باب من ابواب المسجد فخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه . وله خطبة اخرى أولها . ان الله كفانا مؤونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة فليته كفانا مؤونة الآخرة وامرنا بطلب الدنيا ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون ... الخ

وقد اعقب الحجاج خطباء كثيرون سواء أكانوا من الامراء والولاة أم من رجال الدين والعلم والأدب .

حلقات العلم فى المسجد الجامع

اشرنا فى مقدمة بحثنا عن المسجد الجامع الكبير بالبصرة بايجاز عن

الادوار التى قدمها للنهضة العلمية والادبية التى تألقت فى البصرة واضاءت جوانب العالم من انتاج جهود الصحابة والتابعين واساطين علماء البصرة وأدبائها فكان المسجد الجامع هذا كما اشرنا روح البصرة وشعلتها الوقادة فى كافة نواحي النهضة والتقدم على اختلاف العصور التى مرت عليه فكان المعهد العلمي الكبير والمدرسة الواسعة العامة يتلقف الناس منها العلم والمعرفة ويرضعون لبان علوم التوحيد والكلام من حلقات خيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم يرتشفون رحيق الأدب والكمال من جهابذة علمائها وفحول ادبائها فكم تخرج من جامع البصرة علماء لهم مكانتهم العليا والتراث الخالد فى التفسير والحديث والفقه والنحو والصرف وعلم الكلام والتاريخ والسير واللغة والأدب وكم يطأطيء التاريخ الرأس لكثير من الزهاد والعباد وحفظة القرآن الذين ضمهم المسجد الجامع يضاف الى ما كان فيه من المعتزلة واصحاب الفرق والمعتقدات يتباحثون ويتناظرون بحرية واطمئنان . حتى اصبح المسجد الجامع كعبة طلاب العلم ومعهد العلماء والافاضل ومرجعاً لعلماء الاسلام فى الرواية والاسناد يجمعونه على اختلاف طبقاتهم واجناسهم واعمارهم لا فرق بين غنى وفقير او كبير وصغير كل على حسب ما يبتغي جنيه من ثمار العلم يجتمعون حلقات حول العلماء المتصدرين على مساندهم الموضوعة جنب سواري المسجد لكل عالم حلقة تعقد تحت سارية من سواريه اي (اعمدته) فصارت تعرف كل واحدة بعالمها كحلقة الحسن البصري مثلا وأبى عبيدة ويونس وغيرهم فكان المسجد على سعته ورحبه يعج بحلقات العلم وجموع الطلاب المحتشدين فكان الداخل فيه لا يسمع إلا صرير الاقلام ودوي طلاب العلم فى الدرس والالقاء كدوي النحل فى القفارة حتى انه كان يقف عند رأس بعض المشايخ منهم مستمليان يسمعان الناس ما يمليه عليهم . كاحمد بن محمد ابو ليلى العبدي . وابدع من وصف ذلك هو العلامة الحريري فى مقامته البصرية حيث قال (وكنت سمعت ان غشيان مجالس الذكر يسر غواشى الفكر فلم أر

لاطفاء ما بى من الجمرة إلا قصد الجامع بالبصرة وكان إذ ذاك مأهول المساند (جمع مسند وهو فرش موضوع تحت سارية من المسجد يتكىء عليها عالم الحلقة المتصدر للتدريس (مشفوه الموارد) يقصد ازدحام الطلبة على الاشياخ لاخذ العلم (يجتنى من رياضه ازاهير الكلام ويسمع فى ارجائه صرير الاقلام ... الخ) ولله در (المفجع البصري) الشاعر الكاتب حين قال :

آلا يا جامع البصرة لا خربك الله
وأسقى صحنك المزن من الغيث فرواه

الى ان يقول :

وكم من طالب للشعر بالشعر طلبناه

الى آخر القصيدة .

ونذكر بعد هذا قسما من أهم تلك الحلقات فى مختلف الأدوار والعصور التى كانت تعقد للدرس والافتاء والتعليم بحلقات بعض الصحابة والتابعين واول حلقة اتخذت فى المسجد الجامع بالبصرة واقرىء فيها القرآن هى حلقة جعفر بن ابى الحسن وحلقة الاسود بن سريع التميمي وعمران بن الحصين الخزاعي وعبدالله بن المفضل المازنى وانس بن مالك الخزرجي الانصاري الصحابى المشهور وهشام بن عامر الانصاري الذي روى عنه الحسن البصري ومجاشع بن مسعود السلمي الذي روى عنه ابو عثمان النهدي وابو الاسود الدؤلي وهو أول من وضع علم النحو وممن اخذ النحو عنه يحيى بن يعمر وعنبسة بن معدان وميمون بن الاقرن وابو سعيد الحسن البصرى ومن جملة تلاميذه وملازميه عمرو بن عبيد الزاهد العابد جالسه مدة حتى حفظ عن الحسن اشياء كثيرة من علومه ومعارفه واشتهر نقله حتى قال عنه الحسن هذا سيد شباب أهـــلى البصرة ثم نفره الحسن ونهى عنه لشذوذه فى المباحث الكلامية وفى حلقة الحسن البصرى طلق الفرزدق زوجته (نوار) بمحضر من

الناس واشهد على طلاقها الحسن البصرى ثم قال الفرزق يا ابا سعيد قد ندمت فقال الحسن والله انى لأظن ذلك والله لئن رجعت لرجمتك بالحجارة فمضى يقول :

ندمت ندامة الكسعى لما غـــدت منى مطلقة نوار

الى آخر الابيات .

ومن الملازمين للحسن ايضاً واصل بن عطاء وكان الحسن يدنيه ويقربه لفرط ذكائه ولكن بعد ذلك نفره وابعده لشذوذه فى المباحث الكلامية وقال له الحسن اعتزل عنا فاعتزل حلقة الحسن وكون له حلقة جنب احدى سوارى المسجد وقال الحسن اعتزل عنا . واصل بن عطاء فسميت آنذاك (فرقة المعتزلة)

وايضاً الخليل بن احمد الفراهيدى اللغوى المشهور صاحب كتاب العين وواضع اصول العروض فى الشعر ويعد من العلماء الذين ذهبوا ضحية العلم وذلك انه اراد ان يخترع شيئاً فى الحساب وهو ان يقرر نوعاً من الحساب سهلا بسيطاً يفهمه العامـــة فلو سارت جارية الى البياع بدرهم وحسبت بموجبه فلا يستطيع البائع ظلمها فدخل الخليل للمسجد وهو يفكر فى فكرته هـــذه وهو ماش الى حلقته فصدمته سارية من سوارى المسجد وهو غافل عنها فانقلب على ظهره فكانت تلك الصدمة سبباً لموته .

ولو اردنا ذكر من كانت لهم حلقات فى المسجد الجامع والعلماء والادباء الذين تخرجوا منه لاحتجنا الى مجلدات ضخمة وبحث يطول بنا شرحه وبيانه عن الذين انتجوا للعالم الاسلامى والعربى فى تلك القرون من علم ومعرفة وكان الزمن قد اتسع للمسجد زهاء نيف واربعين ومئتي سنة ان يكون جامعة الاسلام الكبرى ومعهد العرب ولكن المصيبة العظمى والطامة الكبرى من فتنة الزنوج واحراقهم للمسجد والبيوت والاسواق والقصور والمساجد

والمعاهد وبالأخص احراق المسجد الجامع فقد احرق مرتين الاولى فى ١٧ شوال سنة ٢٥٧ هـ فكانت تلك الفتنة سبباً فى خمود الحركة العلمية فى المسجد نظراً للمجزرة التى هلك فيها كثير من سكان البصرة فشتتت معظم البصريين الذين نجوا من فتك الزنوج فبقيت البصرة ومسجدها تقريباً خاوية خالية مايقرب من نيف واثنتي عشرة سنة وقدسجل ابن الرومى الشاعر المشهورمرثية بليغة فى نكبة البصرة من فتنة الزنوج نجتزيء منها ببعض ابياتها مما تتعلق بالمسجد .

ذاد عن مقلتى لذيذ المنام   شغلها عنه بالدموع السجام
اي نوم من بعد ما انتهك الزنج   جهاراً محارم الاسلام

وقال ايضاً :

بينما اهلها بأحسن حال   اذ رماهم عبيدهم باصطلام

الى ان قال :

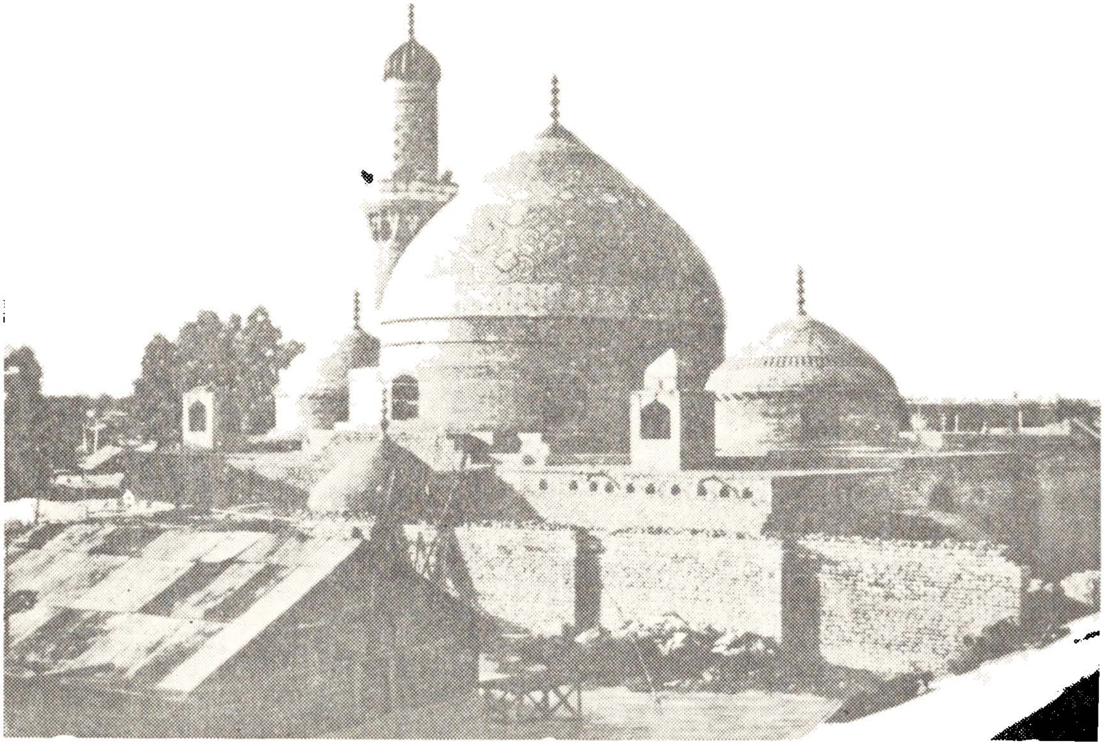
بل ألما بساحة المسجد الجامع   ان كنتما ذوي الـمام
فأسألاه ولا جواب لديه   اين عباده الطوال القيام
اين عماره الأولى عمروه   دهرهم فى تلاوة وصيام
اين فتيانه الحسان وجوهاً   اين اشياخه أولوا الاحلام
أي خطب واي رزيء جليل   نالنا من اولئك الاعجام

الى آخر القصيدة

جامع الامام سيدنا علي

هـــو المسجد الجامع نفسه

اجمعت كتب التاريخ والاخبار ان مسجد البصرة اسمه المسجد الجامع بالبصرة وليس بجامع سيدنا علي رضى الله عنه وان الامام علي عليه السلام حين خطب فيه قال (ليستشهد عند مسجدها ... الخ) يعنى المسجد الجامع ولم ينسبه لنفسه فترى ان نسبته للامام علي لم تكن إلا فى السنين الاخيرة على غير صحة اما مسجد مقام علي الواقع على صـــدر الضفة الشمالية لنهر العشار اليوم والذى يبعد عن الأثر القائم للمسجد الجامع بناحية الزبير بما يقرب من احد عشر ميلا فهو من مساجد البصرة الجديدة .



٥٣

جامع سيدنا
علي (رض)
الواقع على ضفة
نهر العشار عند
مدخل النهر
بجهته الشمالية
من شط العرب
الكبير المبني
حديثاً

نبذة مختصرة عن تاريخ البصرة الحالية

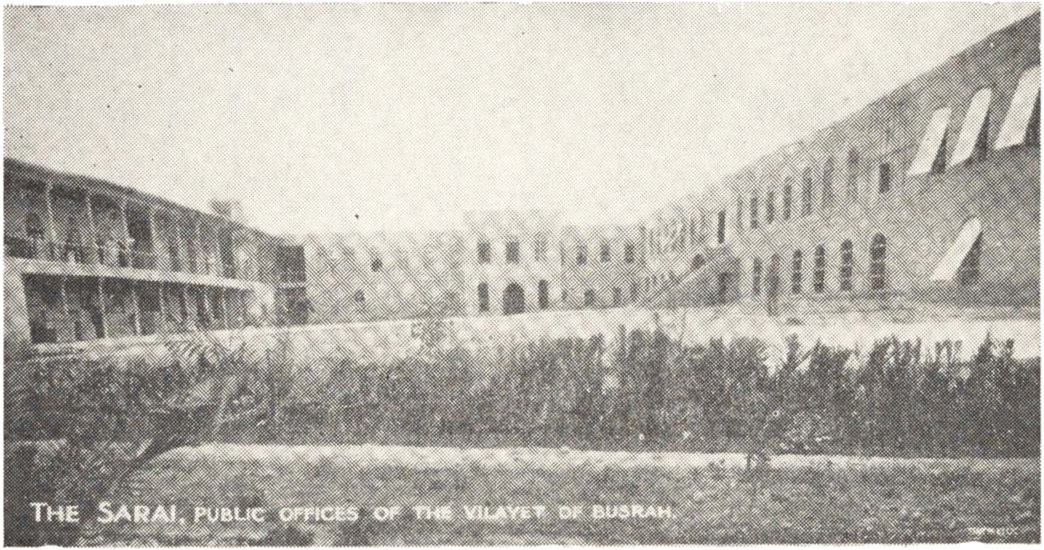
في العهـــد العثماني

ان الانشقاق الذي حصل في الدولة العباسية وانتشار الفوضى فيها بسبب كثرة الخونة واصحاب الغايات سبب هذا كله هجوم الطاغية ـ هولاكو ـ على بغداد وانقراض الدولة العباسية من العراق وذلك في محرم سنة ٦٥٦هـ-١٢٥٨م فاستولى التاتار عليها وعاث ولاتها في البلاد فسادا ثم بعد انقراض الدولة التاتارية اعقبتها الدولة الايلخانية سنة ٧٣٦هـ-١٣٣٥م فضعفت البلاد لكثرة الحروب الداخلية والغزوات الخارجية ثم انهارت هذه الحكومة واعقبتها دولة ـ تيمور لنك المشهور سنة ٧٨٥هـ-١٣٨٣م فانست بمظالمها ما حل بالبلاد سابقا ثم اضمحلت هذه الدولة فجاءت بعدها دولة قره قوينلي سنة ٨١٢هـ-١٤١٠م فانشغلت هـــذه ايضا بالحروب الى ان تهدمت اركانها فحلت مكانها في سنة ٨٨٢-١٤٦٧ دولة آق قويـنـــلي ثم طردها شـــاه اسماعيل الصفوي في سنة ٩١٤-١٥٠٨ وصار العراق من جراء هـذه الطوارىء والكوارث ميدانا للسفك والفتك وقد مرت عليه خلال مائتين وثمانين سنة مصائب واهوال كان العراق فيها يعاني هذه المحن والنكبات مما يعجز عن وصفها قلم الواصف ـ ومن طبيعة الحال ـ فلقد لحق البصرة ما لحقها من ذلك العبث والدمار فكانت مرسحاً لتلك الدول الغالبة فعاث بها الطغاة وسيوف التاتار والمغول من ناحية واعراب البادية من ناحية اخرى مع ما وقع بها من امراض الطواعين فلم يزل سكانها من جراء ذلك يحاربون كل دولة ويكافحون كل مصيبة حتى تقطعت بهم اسباب المعيشة وتعسر عليهم حصول الراحة فالتجأوا الى الفرار وهج من بقي من اهل البصرة القديمة لفقدان الماء وبعده عنهم واخذوا

يهاجرون منها شيئاً فشيئاً موجهين وجهتهم شطر ارض البصرة الجديدة وكان ذلك فى حدود القرن التاسع الهجرى - وفى مقدمتهم - اسرة آل شيخ عبدالسلام العباسى التى تسمي الآن بآل باش اعيان العباسى

فاسسوا هذه المدينة على بعد نحو سبعة اميال من شرقى البصرة القديمة وبنو فيها البيوت والمساجد والمدارس وحكموها احسن تحكيم .

وبعد هذه الفترة انتهز العرب - عرب البادية - هذه الفرصه وتسلطوا على البصرة الجديدة بضع سنين من قبل ملوك آخر الدويلات المارة الذكر الى ان فتح العراق - السلطان سليمان القانونى فى سنة ٩٤١هـ - ١٥٣٤م وابقى البصرة فى حكم العرب وشرط عليهم ان يذكروا اسمه فى السكة (العملة) والخطابة ثم بعد سنوات قليلة عصى عليه آخرهم راشد المغامس فغضب السلطان عليه واخذ البصرة منه عنوة فى سنة ٩٥٣هـ -١٥٤٦م فاخذ بعده سلاطين آل عثمان يرسلون لها الولاة تارة من دار السلطنة مباشرة وتارة بواسطة ولاة بغداد بضمان والتزام وقد حدث فى حينه من جراء هذه الضمانات بعض التمرد والعصيان كما حدث من بعضهم التراخي والاهمال مما ادى الى طمع عشائرها الخارجية كهاجمة الشيخ مانع المنتفق سنة ١١٠٦هـ - ١٦٩٤م وما اتاه الشيخ مغامس ومهنا سنة ١١١٨هـ -١٧٠٦م و١١٣٠هـ -١٧١٧م وما حل فيها بعد ذلك من التقلبات وشن الغارات من قبل شاهات ايران كشاه عباس سنة ١٠٣٢هـ - ١٦٢٢م ونادر شاه سنة ١١٥٦هـ - ١٧٤٣م وكريم خان الزندى تحت قيادة اخيه صادق خان سنة ١١٨٨هـ - ١٧٧٤م هذا عدا ما حل فيها ايضا من طاعون ابو (جفجير) كفكير سنة ١١٨٧هـ - ١٧٧٣م ومرض الهيضة - ابو زوعة - سنة ١٢٣٦ هـ - ١٨٢٠ م وطاعون الكبير ابو ريبة سنة ١٢٤٧هـ - ١٨٣١م وبينما كانت البصرة تعانى الامرين من هذه النكبات انتقل الامر الى (الكولات) كوله - بمعنى مملوك - فى حدود سنة ١١٦٣هـ - ١٧٤٩م فى بغداد وهؤلاء الكولات



سراى البصرة «دار الحكومة» ايام الحكم العثمانى

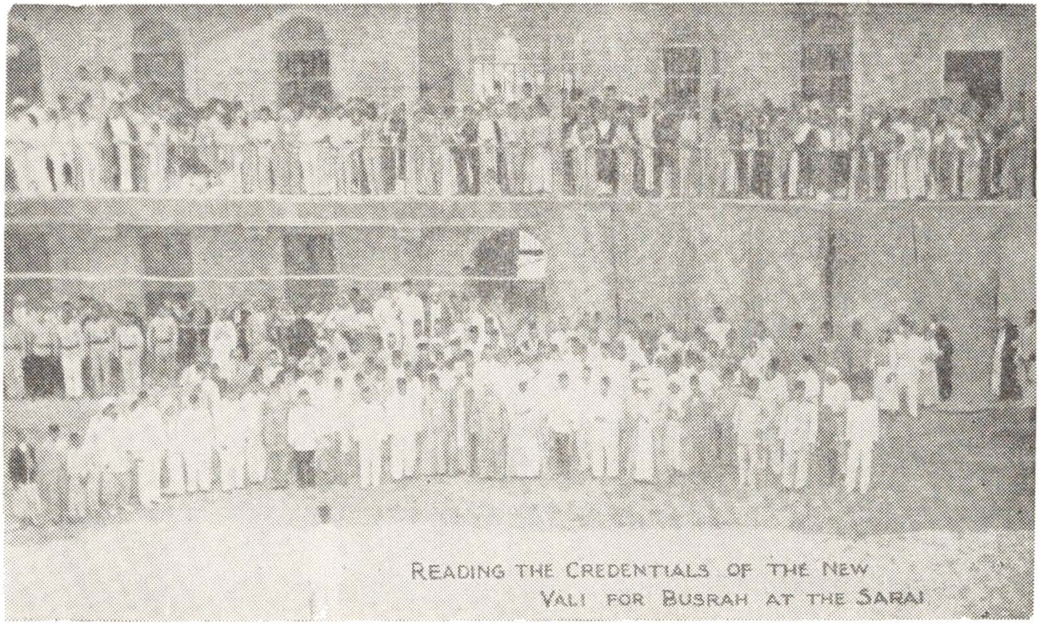
وان كانوا بصفتهم ولاة منصوبين من قبل الدولة العثمانية الا ان احكامهم وافعالهم كانت مليئة بالفتك والتعسف والظلم فسلموا شؤون البصرة على ماهى عليه من الاهمية العظيمة الى بعض متسلميها الجبابرة كما انه اعطوا جبايتها الى شيوخ المنتفك بمقابل نقد معين وجعلوا حكومة البصرة لبعض من اتباعهم وسلموا بيده زمام الامر بصورة مطلقة وهؤلاء الشيوخ المذكورون وان كانوا من ذوي حسب ونسب إلا انهم كانوا على الفطرة لان طباعهم ألفت الغزوا وقتل الانفس ولم يكن بامكان احد منهم أن يقوم بادارة المملكة وفقاً لما يقتضيه الشرع والقانون لذلك فلم يتركوا فى زمن سلطتهم على البصرة فعلا من المظالم والغصب إلا وفعلوه ولا طريقاً فى العدوان إلا سلكوه وقد هرب من وجه هذا العبث والفتك كثير من ملاكى البصرة طالبين سلامة الروح العزيزة ومنهم من تمكن من بيع املاكه بثمن بخس حتى اصبحت قيمة كل جريب معمور من النخيل باقل من عشرة ليرات ذهب ولا ننسى ايضاً ما حدث فيها من تقتيل واغلبهم من آل الزهير فى قصبة سيدنا الزبير ١٢٤٩ هـ - ١٨٣٣م كما قتل التاجر ياسر السميط فى البصرة فتمضي على جميع ثروته سنة ١٢٤٠هـ - ١٨٢٤م وقتل محمد بن ابراهيم الثاقب آل وطبان (وهو جد محمد بن صباح واخيه مبارك وجراح لوالدتهم) الزبيرى وقذف برأسه من السطح الى اصحابه فلا عجب اذاً والحالة هذه ان ما وقع من اعمال فى تلك الدولة ايام ولاتها والعربان - الغازين - وامراض الطاعون قد اثر على عمران البصرة الجديدة واحط بكثير من دور العلم ومعاهد الآداب وادى الى نقص فى التجارة والاموال والانفس حتى اصبح عدد نفوس سكان مدينة البصرة سنة ١٣٠٠هـ - ١٨٨٢م لا يتجاوز الخمسة آلاف نسمة وهو من اصل ما كان فيها من الانفس فى سنة ١١٧٩هـ - ١٧٦٥م والبالغة ستين الفاً . فلم يسلم أحد فى هذه المدينة إلا بعض من بيوتات معدودة عريقة بالمجد .

ولم تكن البصرة تنفض من على رأسها غبـــار تلك المحن إلا وقد

انفجرت بينهم محنة جديدة ألا وهى ـ مشاحنات ـ ناصر باشا السعدون وقاسم باشا الزهير فى حوالي سنة ١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م مما ادى فى يوم من الايام الى ان ناصر باشا أراد أن يقذف بزاحمه قاسم باشا من على سطح السراى لتنازعهما على كرسى رئاسة النفوذ فى البصرة ولولا أن يتدارك الامر احد الجالسين ويخلص قاسم من هذه النكبة لكان الامر كما اراد ناصر باشا (وكان والياً على البصرة) .

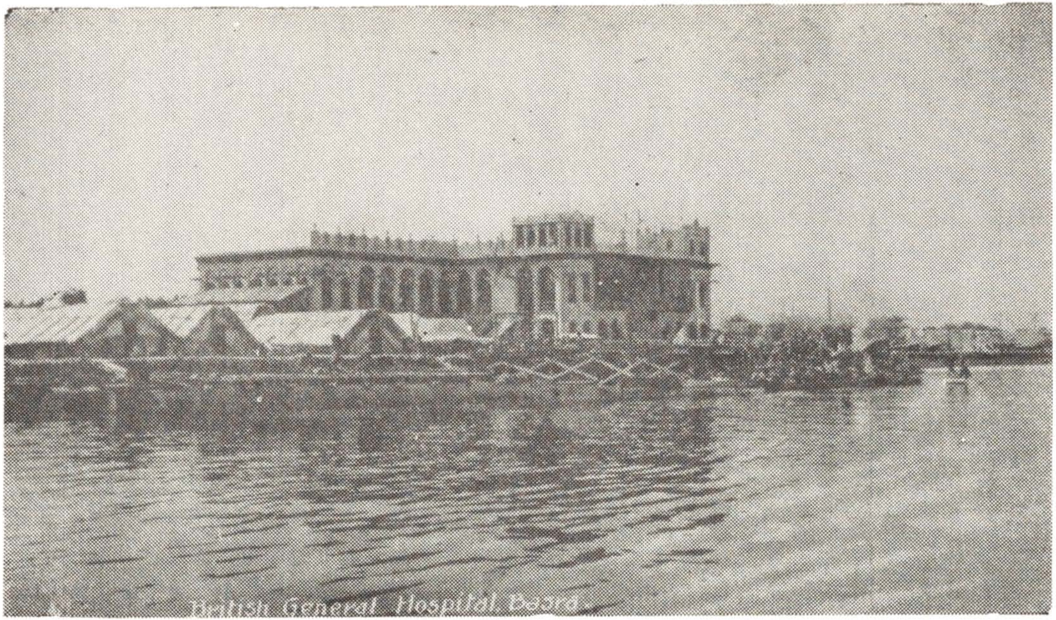
وبعد ان تغير عنوان متصرفية البصرة وجعلها ولاية فى المرة الاخيرة سنة ١٣٠١هـ - ١٨٨٢م هان الامر وتبدلت بعض الاحوال غير ان قسما من كبار البصرة لم تزل المشاحنات والمنافسات باقية بينهم على حالتها السابقة وفى هذا الاثناء أخذ الناس يتواردون الى البصرة من انحاء العراق واطرافه لاكتساب الرزق والمعيشة الا ان الامن فى اغلب الاحيان كان مفقوداً فيها لاهمال بعض الولاة وانهماكهم فى المطامع والملذات فتارة تكون البصرة فى حالة رخاء وسعادة وتارة تكون فى ضيق وشقاء فاللصوص تهاجم بعض البيوت فى الليالي واحياناً تقتل الانفس نهاراً فى الطرق والاسواق والخانات والمقاهى وعلى ملأ من الناس لضعف أولئك العمال فى الادارة وتوسع نفوذ بعض المجاورين .

وبينما الاحوال ـ جاريةعلىهذا المنوال اذ ظهر سيد طالب باشا النقيب فى سنة ١٣١٤هـ -١٨٩٦م وكانعمره آنذاك لا يتجاوز الثلاثة والثلاثين سنةفانتقل أمر الزعامة والنفوذ اليه واخذ يستغل هذه الازمات لتوسيع مجد بيتهم واعلاء شأنهم وكانت الأمور تارة له واخرى عليه ومرة فى استانبول وآونة فى البصرة حتى اعلان الدستور العثمانى فى المرة للثانية ٢٤ج١ سنة ١٣٢٦هـ -١٩٠٨م المصادف ١٠ تموز رومى سنة ١٣٢٤ رومى فدخلت البصرة فى دور جديد من النهضة السياسية والادبية فقامت فيها الجمعيات والنوادي وانخرط فى سلكها جمهور من الأشراف والاعيان وانتشرت فيها الجرائد المحلية وتضاربت ما بينهم



سراي الحكومة العثمانية ويشاهد الواقفون فى ساحته والي البصرة الجديد وحوله القواد العسكريين وكبار موظفى الدولة والاشراف والاعيان عند تلاوة الفرمان (الارادة الملكية) بتعيينه والياً على البصرة .

الآراء والافكار وبينما الأمور تسير على هذا المنوال قام فى دار الخلافة فى استانبول دعاة التفريق والتفضيل بين الجنسين العربى والتركى فى اواخر سنة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م واندلع لهيبها فى جميع الممالك العربية العثمانية فنالت البصرة من هذه الحركة حظاً وافراً وانتهز السيد طالب باشا النقيب هذه الفرصة وتمسك بعرى هذه القضية واخذ يناضل الدولة العثمانية محتجاً بطلب الاستقلال - اللا مركزي - الى ان تطور الحال واستفحل الامر بين الطرفين فادى الى قتل فريد بك قائد الجيش النظامى بالبصرة مع مقتل متصرف المنتفك بديع نوري بك الحصري (وهو شقيق ساطع الحصري) وذلك فى ١٥ رجب سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م وذلك عند شريعة داخل نهر العشار شرقى جسر (الصيادلة) حالياً فانتشرت الاراجيف من جراء هذه الموقعة وكثرت الاقاويل فاخذ يتملك الناس الخوف والارتياك فمنهم من قال ان الحكومة ستقصف البصرة غداً بالمدافع ومنهم من توقع احتلال الانكليز للبصرة بحجة المحافظة على رعاياها وهكذا اخذت الدولة العثمانية تتحين الفرص للايقاع بالسيد طالب باشا فاعتمدت على الفريق سليمان شفيق باشا وارسلته والياً على البصرة وجهزته من استانبول بفوج كامل من الجنود التركية - مع ضباطهم - يتجاوز عددهم التسعمائة جندي فتوجه عن طريق البحر بعد ان استأجرت له الحكومة التركية باخرة من احدى الشركات الروسية تسمى (سراتوف) وعند وصوله استقبله اشراف البصرة واعيانها ورؤساء الدوائر من المحمرة وكان فى مقدمتهم السيد طالب النقيب وكان ذلك فى اوائل ربيع سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤ م ولقد نزل من الباخرة الى قصر (الكمالية) الواقع فى (الفيلية) على ضفة شط العرب الشرقية بضيافة أمير عربستان سمو الشيخ خزعل خان وكان حاضراً الشيخ مبارك باشا الصباح والسيد طالب باشا النقيب تلك الضيافة الفخمة التى أعدها لهم سمو امير عربستان وقد كانت ليلة من ليالي (الف ليلة وليلة) حوت كل شيء من الغوانى وما لذ وطاب من طعام وشراب . وقد

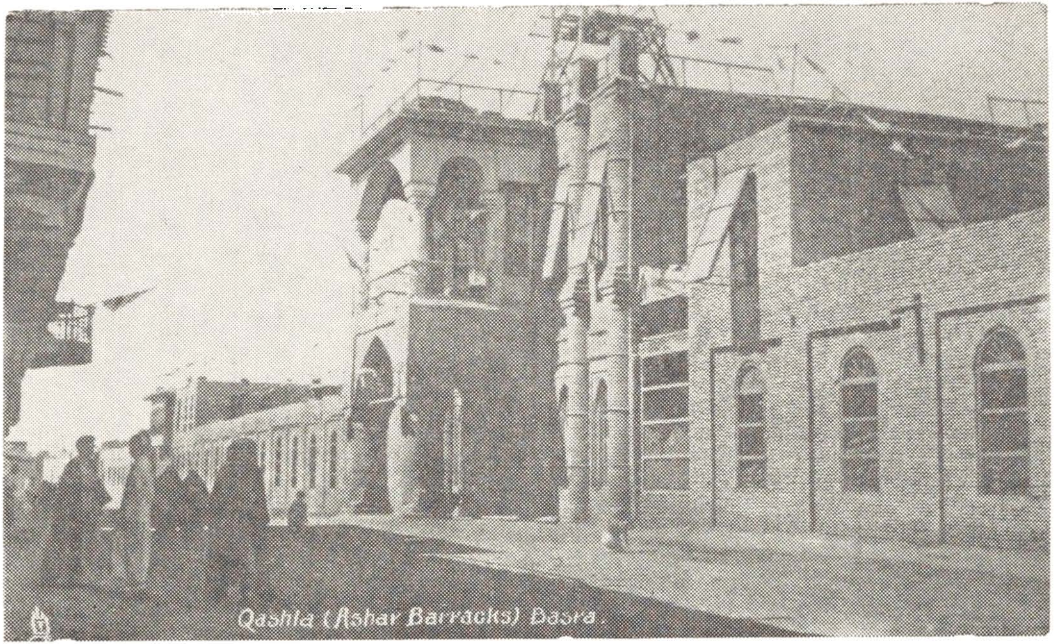


احدى مناظر قصر الشيخ خزعل امير المحمرة سابقاً الواقع فى الرباط على ضفاف شط العرب فى البصرة وكان مستشفى ايام الحرب الاولى للجيش البريطانى

دبر الامر بتلك الليلة وانقلبت الأمور وتغير كل شيء .

ونهار اليوم الثانى وصل الوالي المذكور البصرة مما أثر هذا الاستقبال فى نفس الوالي فصار رهن اشارة السيد طالب باشا .

حتى انه بعد اشهر قلائل هجم الوالي سليمان عفيف باشا بجنوده ومدافعه على قصبة سيدنا الزبير فروّع سكانها محتجاً بذلك ان الجناة اللذين قتلوا فريد بك القائد التركى ورفيقه بديع نوري بك الحصري قد اختفوا فيها ثم انتهت هذه الفاجعة بسلام بعد أن ذهب ضحيتها عدد من القتلى الابرياء ولما طال الامر على الحكومة العثمانية وبعد مراوغات ومداهنات فى الأمر عزلت سليمان شفيق باشا عن الولاية واسندت ادارتها بالوكالة الى قائد العساكر النظامية صبحي بك فوصلها من بغداد بعد منتصف شعبان سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ وكان هذا آخر والي يعين الى البصرة . إذ فى هذه الاثناء اعلنت الحرب العالمية الاولى ودخلت الحكومة العثمانية فى هذه الحرب واعلنت النفير العام (سفر برلك) وفى منتصف شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م كانت الحكومة العثمانية قد اعلنت الحرب على دول الحلفاء . انكلترة . وفرنسا . وروسيا منحازة الى المانيا وحشدت قسما من الجنود فى ساحة القتال فى سيحان وثغر الفاو وجنوبى البصرة فأخذ الأهلون والعشائر يتواردون الى ساحة القتال وتوجهت الجنود البريطانية مع قسم من بوارجها الحربية واطلقت نيران مدافعها على مواقع الدفاع فى الفاو . يوم ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٢ المصادف ٦ تشرين الثانى سنة ١٩١٤ احتلت الجيوش البريطانية قضاء الفـــاو . وكانت هذه القوات محتشدة فى البحرين من ٢٣ تشرين أول سنة ١٩١٤ آتية من الهند وكانت تحت قيادة الجنرال (ديلامين) الذي رافقه الحاكم السياسى السير برسى كوكس وتحركت من البحرين يوم ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩١٤ وبعد نزولهم الى الفاو انسحب الجيش العثمانى الى سيحان وفى ١١ تشرين ثانى سنة ١٩١٤ بدأت المعركة بين الجيشين وكان يساند الجيش التركى قسم غير قليل من العشائر فهجم



الثكنة العسكرية فى العشار ايام الحكم العثمانى سنة ١٩١٠ م

الاتراك على قوات الجنرال ـ ديلامين ـ فصدوها وفى ١٤ تشرين ثانى سنة ١٩١٤ عززت القوات البريطانية بوصول الفوج السادس تحت قيادة الجنرال (ارثر برت) وفى ١٥ من الشهر المذكور شنت القوات البريطانية هجوما عنيفاً تعززها البارجة الحربية (اسبيكل) من جهة شط العرب فاندحر الجيش التركى بأجمعه بعد استشهاد قائده (سامى بك) كما قتل فى المعركة مساعد السير برسى كوكس الكبتن (بيرد وود) .

وفى اثناء هذه المذابح اخذت الفوضى تنتشر بين (المجاهدين) واختل النظام وتبعثرت القوات التركية وكانت هذه الواقعة الفاصلة فى نهاية الحكم العثمانى فى هذه البلدة فدخلت الجيوش البريطانية للبصرة فى ٣ محرم سنة ١٣٣٣ و٢٢ تشرين الثانى ١٩١٤ .

وقبل وقوع هذه الحوادث الحربية بأيام قليلة وصل البصرة فى احدى البواخر النهرية من بغداد والي بغداد نفسه وقائد القوات العثمانية فى العراق جاويد باشا للاطلاع على الخطط الحربية فى جنوبى البصرة وقبل وصوله سافر السيد طالب باشا النقيب براً الى الكويت ومنها الى نجد لاقناع جلالة الملك عبدالعزيز السعود على معاونة الدولة العثمانية والانضمام اليها فى هذه الحرب تخلصا من مواجهة جاويد باشا . وبعد مكوث جاويد يوما واحداً فى البصرة اطلع خلاله على حالة الجيش وضعفه قرر الانسحاب من البصرة الى القورنة وكان قد حضر البصرة بذلك اليوم عجمي باشا السعدون لمواجهة جاويد باشا الذى كان معسكراً مع عشائره فى الشعيبة وقد انسحب من البصرة بعد دخول الجيوش البريطانية اليها والتحق بالاتراك واشترك بمعاونة الجيش التركى بحرب الشعيبة فى ١٩١٥ م وبقي موالياً لهم حتى النهاية وسكن فى الاناضول وقد ملكوه اراضى زراعية حتى وافاه الأجل المحتوم فى ١٩٦١م .

وعند وصول السيد طالب باشا النقيب الى الرياض وصلت الاخبار باحتلال البصرة من قبل السلطات البريطانية وانسحاب العثمانيين منها وعلى

أثرها رجع الى الكويت فاعتقلته الحكومة البريطانية وارسلته أسيراً الى البلاد الهندية .

وبعد دخول الجيوش البريطانية للبصرة اضطرت الحكومة العثمانية بعد انسحابها من البصرة ان تتخذ قضاء القورنة ميداناً للدفاع وبقيت البصرة خلال يومين بدون حكومة فكثر الخوف والفزع من كثرة الطلقات النارية فى الطرق فاستغل الرعاع واللصوص والاعراب هذه الحالة فنهبوا مخازن دائرة الكمرك فى مدخل نهر العشار التى كانت غنية بالاموال والامتعة التجارية وقد إنهمكوا فى نقل وسرقة هذه الكنوز التى لا تقدر بثمن فهي ولا شك كانت تحتوي على أموال تعود الى تجار بغداد وايران . لقد كان الطريق الوحيد لارسال البضائع والاقمشة الحريرية والصوفية والقطنية والاسرة وكل شيء كان هذا يرد من اسواق أوروبا والهند والصين الى البصرة ثم يشحن بالبواخر النهرية الى بغداد والذي كان بدوره يرسل الى ايران محملا على البغال من جهة بغداد عن طريق خانقين ولهذا كانت الأموال مكدسة فى مخازن الكمرك وكانت اقيامها تبلغ عدة ملايين من الليرات الذهبية وهذا السبب نفسه هو الذي حفظ أهالي البصرة من أيدي اللصوص والاشرار اذ أن جميع العشائر التى انسحبت من ميدان المعركة بعد اندحار الجيش التركى كانت قد استولت على قسم عظيم من اسلحة الجيش التركى فمنهم من استشهد فى ميدان المعركة ومنهم من هرب بعد أن رمى سلاحه حفظاً لحياته حيث كان الاعراب يقتلون كل جندي تركى يجدون بحوزته بندقية ويسلبونها منه . وكان هؤلاء قبل اندحار الجيش التركى يجاهدون فى سبيل الدفاع عن الخلافة غير انه مع الأسف عند اندحار الجيش التركى صاروا يحللون قتلهم ليسلبوا اسلحتهم فكم وكم من الجنود الاتراك قتلوا فى الطريق عندما كانوا ينسحبون من ميدان القتال .

فلنترك البحث عن هذه الحوادث المؤلمة والتى شاهدتها بام عينى وذلك عندما نأتى الى حوادث الحرب فى البصرة ايام الحرب العالمية الأولى .

كيفية الاحتفال بقراءة فرمان الوالي

اي الارادة السلطانية فى العهد العثماني (١)

كان تعيين الولاة فى العهد العثمانى يصدر بموجب فرمان ،والفرمان هذا هو المعبر عن أرادة السلطان وعندما يتوجه الوالي بعد تعيينه لمقر وظيفته يصحب الفرمان معه . فاذا كان الوالي المعين خارجاً عن دار السلطنة العثمانية يرسل اليه الفرمان فى البلدة التي وظف فيها وعند وصوله يخصص يوما لاستماع تلاوته وقبل البدء بالقائه يعطيه الى احد رؤساء دوائر سراي الدولة على ان يكون هذا من ذوي اللياقة والاقتدار على قراءة الخط الديوانى والوقوف على مضمونه حتى يتمكن من القائه بصورة صحيحة دون أي ارتباك بين صفوف الجماهير المحتفلة وقبل اليوم المعين لقراءته تكتب رقاع الدعوة من قبل الوالي الى اشراف البلدة وساداتها وأعيانها ووجوهها على اختلاف طبقاتهم ومللهم ليحضروا الاحتفال بملابسهم وأوسمتهم الرسمية مع كبار موظفي الدولة من عسكريين ومدنيين . وكان يجري هذا فى البصرة عند استماع قراءة فرمان واليها الجديد .

إن أول فرمان قريء بهذه الصورة كان فى سنة ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ م فقد اجتمع المدعوون فى ساحة السراي (دار الحكومة) وذلك بين صف من الجنود البرية والبحرية مع موسيقاهم التى كانت تشنف آذانهم بين آونة واخرى بانغام شجية كما اشترك طلاب المدارس فى السنوات الأخيرة فكانوا ينشدون الأناشيد المدرسية باللغة التركية وكان الناس بجماهيرهم الغفيرة يقفون بكل انتظام واحتشام كما كانت نوافذ السراي وسطحه ممتلئة بالمتفرجين . فينزل

---

(١) يشاهد القاريء صورة لاحدى مشاهد تلاوة الفرمان فى الصفحة ٥٩ من هذا الكتاب .

الوالي من غرفته ويتبعه المدعوون الى ساحة السراي الكبيرة واحياناً يقفون في شرفة السراي الشرقية المطلة على الساحة المذكورة وقبل أن يبدأ المكلف بقراءة الفرمان يتقدمه للوالي ملفوفاً بقطعة من الحرير الأخضر فيأخذه الوالي منه بكل رفق واحترام ويقبله ثلاث مرات تعظيماله ثم يعيده الى قارئه وهذا ايضاً بدوره يقبله ثلاثاً ثم يفتحه ويبدأ بقراءته . يبدأه بالبسملة وذلك بصوت جهوري والجنود شاكة اسلحتها تحية وتعظيما وهذه صورة لقسم من الفرامين التي تليت منها بتعيين الوالي احمد حمدي باشا وترجمتها التالية منقولة من أعداد جريدة (البصرة) الرسمية التي كانت تصدر في البصرة في العهد العثماني والفرمان صادر من الغازي السلطان عبدالحميد خان الثاني في سنة ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢ م .

أمير الأمراء الكرام . كبير الكبراء الفخام . ذو القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك الأعلى أحد فريق عساكر بحرية ملوكيتي واعضاء لجنة تفتيش العسكري والذي احسنت بهذه الدفعة عليه بولاء ولاية البصرة مع بقاء الاعضائية المذكورة في عهدته كما كانت الحائز والحامل للنيشان (الوسام) ذي الشأن المجيدي من الرتبة الأولى والعثماني من الرتبة الثانية . أعني احمد حمدي باشا دامت معاليه . اذا وصل توقيعي الرفيع الملوكي وليكن معلوما لديك انه مما لا يحتاج الى البيان انما استحصال اسباب الاستقرار والراحة واستكمال وسائل الرغد والامنية لكل صنف من تبعة دولتي العلية والأهالي الساكنين والمتوطنين في ممالكي المحروسة السلطانية هي مطلوبة وملزمة لدى سلطنتي الملوكية وحيث انك انت من اصحاب الروية وعبيد سلطنتي السنية المتصفين بالأوصاف المطلوبة الواقفين على أصول الادارة والمصالح العمومية والمقتدرين على اجراء القوانين والنظامات العادلة قد أحلت ووجهت الى عهدة رويتك ولاية البصرة بموجب أمري السلطاني المقرون بالعناية الذي هو موهبة السنوح والصدور من عواطفي العلية وذلك

في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة عشر وثلثمائة والألف ولقد صدر واعطي من ديوانى الهمايونى أمري هذا الجليل منتظما لمأموريتك فانت بمقتضى الدراية المجبول عليها واقتضاء مأموريتك المأمور بها ينبغي منك أن تطوف وتتجول بالذات فى المحال المحولة لعهدة ولايتك بالنظر الى الايجاب وتستحصل الأمر الأهم من حماية كل صنف من تبعة دولتى العلية وأهاليها وحمايتهم من كل الوجوه ووقايتهم من آثار الأذى والتعدي تحت ظل عدالتى الملوكية تتوسل وتتمسك فى كل حال بالشريعة المطهرة النبوية على صاحبها أفضل السلام واكمل التحية وتطبق الحركة على القوانين والنظامات الموضوعة وتبسط على الجميع جناح الرأفة والعدالة وتبذل الدقة لاستجلاب الدعوات الخيريةمن كل أحد لطرفى الملوكىالمستجمع للمجد والشرف وتصرف الروية لأدارة الأمور الملكية والمالية وسائر المواد فى الولاية الملحقة ايضاً بمعرفة مأموريها على الوجه المطلوب وتصرف المقدرة لتأييد توجهاتى التى هى فى المحاسن غايات الظاهرة فى حمك وتزويدها بهذه النية وعرض المواد اللازمة وأشعارها الى دار سعادتى شيئاً فشيئاً .

تحريراً فى اليوم الخامس من شهر شوال المكرم لسنة عشر وثلثماية والف ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢ م .

هذا وبعد أن يفرغ من تلاوته يتقدم مفتي البصرة الذى خلفه بالقراءة سماحةالشيخ عبدالله باش أعيان العباسى (وعين بعده نائب نقيب البصرة) فيتلو دعاء بليغاً يتضمن دوام العمر والنصر للسلطان وجنوده والتوفيق والنجاح لوالي البلد الجديد ويرفع الحاضرون أكفهم للدعاء بقولهم ـ آمين . آمين ـ وهكذا حتى نهاية الدعاء ثم يرفع الجنود بنادقهم للسلام والتحية وتصدح الموسيقى السلام السلطانى ويهتف الجميع باعلى صوتهم ثلاث مرات (باد شاهم جوق يشا) أي ـ فليعش سلطاننا كثيراً ـ ثم يعود الوالي الى ديوانه الرسمي فيتبعه الاشراف وكبار رجال الحكومة فيتقدمه قسم من كبار موظفى

الشرطة بألبستهم الرسمية ومن أمامهم نخبة من فراشي البلدية حاملين بايديهم المباخر (المجامر) الفضية التي يفوح من عند غطائها دخان البخور فتعلو على وجوههم ابتسامات المهابة والوقار ثم يتقدمون اليه في ديوانه الرسمي زرافات ووحداناً ويعرضون له التهاني والتبريكات في منصبه الجديد وبعدها تدار عليهم كؤوس المرطبات وينفض الجميع بابتهاج وسرور .

وكان لقراءة الفرمان السلطاني اهمية كبيرة ودهشة عظيمة تعتري القاريء عندما يشرع بقرائته بين الجمهور فتارة كان يتلى من قبل (مكتوبجي الولاية) وأخرى يعطى الى رئيس كتاب دائرة مجلس الادارة .

كان آخر فرمان سلطاني قد اسندت قراءته الى الشيخ احمد نوري باش اعيان العباسي وهو لوالي البصرة الفريق سليمان شفيق باشا آخر والي اتى البصرة في العهد العثماني سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م وقد تلاه كما هو مدون باللغة التركية . وهذا تعريب الفرمان (الارادة السلطانية) الصادر من السلطان محمد رشاد خان الخامس بتعيين الفريق سليمان شفيق باشا والياً على البصرة وهو أول وال قريء تعريب أمره باللغة العربية بعد أن تلي بالتركية امام الجمهور وأول وال اطلقت المدافع عند قراءة فرمانه في جوار دار الحكومة (السراي) في البصرة وهو آخر وال اتى البصرة من قبل الدولة العثمانية كما ذكرنا

وكان أول وال عين في البصرة من قبل السلطان سليمان القانوني اياس باشا في ٩٥٣ هـ - ١٥٤٦ وآخرهم سليمان شفيق باشا هذا فتكون مدة حكم آل عثمان في البصرة (٣٨٠) سنة هجرية وهذه ترجمة الفرمان :

افتخار الأعالي والأعاظم مختار الأكابر والأفاخم مستجمع جميع المعالي والمكارم المختص بمزيد عناية الملك الدائم من امراء اللواء لعساكر السلطانية قائد فيلق الثامن الملوكي الذي جرى التوجيه والاحسان لعبده استئهاله بولاء ولاية البصرة مع ابقاء وظيفة القيادة ايضاً والحائز والحامل للوسامين المجيدي

من الرتبة الأولى والعثمانى من الرتبة الثانية ذي الشأن . سليمان شفيق باشا دام علوه اذا وصل توقيعى الرفيع الملوكى فليكن معلوما بان نخبة آمالي الملوكية هو تأمين الانضباط والانتظام وحصول الترقى والعمران مع مظهرية صنوف الأهالي للعدالة والرأفة ونيلهم للرفاهية والسعادة على السوية وفقاً لاحكام القانون الاساسى المنيف وذلك بنسبة الاهمية الموقعية والقابلية المخصوصة لولاية البصرة وانت ايها الباشا المشار اليه حسبما انك من أرباب الدراية والأهلية والواقفين على أصول الادارة والمتميزين من أمراء عساكرى فمأمولي ومنتظرى السلطانى منك هو ظهور الخدمات الحسنة والاثار الجميلة المطابقة للشرع الشريف والقوانين والنظامات الموضوعة والموافقة للايجابات المحلية فبناء على ذلك بموجب ارادتى السنية الملوكية الصادرة بالشرف فى اليوم الثانى عشر من شهر صـــفر الخير لسنة اثنين وثلاثين وثلثمائة والف غب الاستيذان بقرار مجلس وكلائى الفخام قد وجهت لعهدة لياقتك ولاء ولاية البصرة على أن توفى وظيفة القيادة المذكورة ايضاً وقد صدر أمري هذا الجليل القدر واعطي من ديوانى الملوكى متضمناً لمأموريتك وانت بمقتضى ما فطرت وجبلت عليه من الفطانة وكمال الخبرة والوقوف يلزمك على كل حال أن تتوسل وتتمسك بالشريعة المطهرة لحضرة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام فتبذل الغيرة والاهتمام لحسن ايفاء الوظائف وفقاً لاحكام القوانين والنظامات الموضوعة وان تمد على كل فرد من الأهالي جناح الشفقة والرأفة وأن يكون عموم تبعتى الملوكية مظهراً لأتم العدالة والحقانية نائلين السعادة والحرية بصورة متساوية وان تصرف المقدرة على استكمال الاسباب المهمة ليكون عموم المأمورين ايضاً يطبقون القوانين الموضوعة حسب المقررات والتبليغات الواقعة بحق عموم أبناء الوطن على السوية وبكمال العدالة مع استجلاب الدعوات الخيرية من كل فرد لطرف المستجمع للمجد والشرف وان

تسارع بانهاء الخصوصات اللازمة الانهاء لبابنا العالي .

تحريراً فى اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة والف .

هذه هى نص الترجمة التى تليت فى ذلك الاحتفال ننقلها على ما هى عليه من ركاكة فى الاسلوب .

بعدها قرأ ترجمتها باللغة العربية مفتى البصرة الحاج عبدالملك الشواف وعقيب ذلك القى الوالي سليمان شفيق باشا خطاباً باللغة التركية ثم تقدم اسماعيل افندي رئيس كتاب مجلس ادارة الولاية فقرأ ترجمته باللغة العربية بعدها تقدم نائب (وكيل) نقيب البصرة السيد يوسف بك النقيب وهو نجل نقيب البصرة السيد رجب افندي الرفاعي والقى دعاء يتضمن دوام العمر والنصر لجلالة السلطان وبعد الانتهاء صدحت الموسيقى العسكرية البرية والبحرية تحية السلطان . ثم اطلقت احدى وعشرين طلقة مدفع فارتبك الأهلون وخالجهم الخوف إذ انه لم يسبق أن يطلق مثل هذه الاطلاقات وسط البلد فساء الظن من ان الوالي سيقضى على من قتل فريد بك القائد التركى الذي اغتيل فى البصرة قبل سنة ولكن ظنهم كان خاطئاً .

وبعد أن تمت التبريكات والتهانى للوالي فى ديوانه الرسمي فى دائرة الحكومة الواقعة فى مدينة البصرة توجه ومعه جمهور المدعوين ووجوه البلد وأشرافها وأعيانها ورؤساء الدوائر فى شارع السيمر المسمى بحارة (الرشادية) شرقى السراي وهي فى الشارع الواقع أمام جسر المحكمة فى الوقت الحاضر بالبصرة وهذه هى المرة الاولى ايضاً التى يستعرض الوالي الجيش وذلك بعد قراءة الفرمان .

موقع سرايات (دواوين)

حكام البصرة الجديدة الحاليـــة

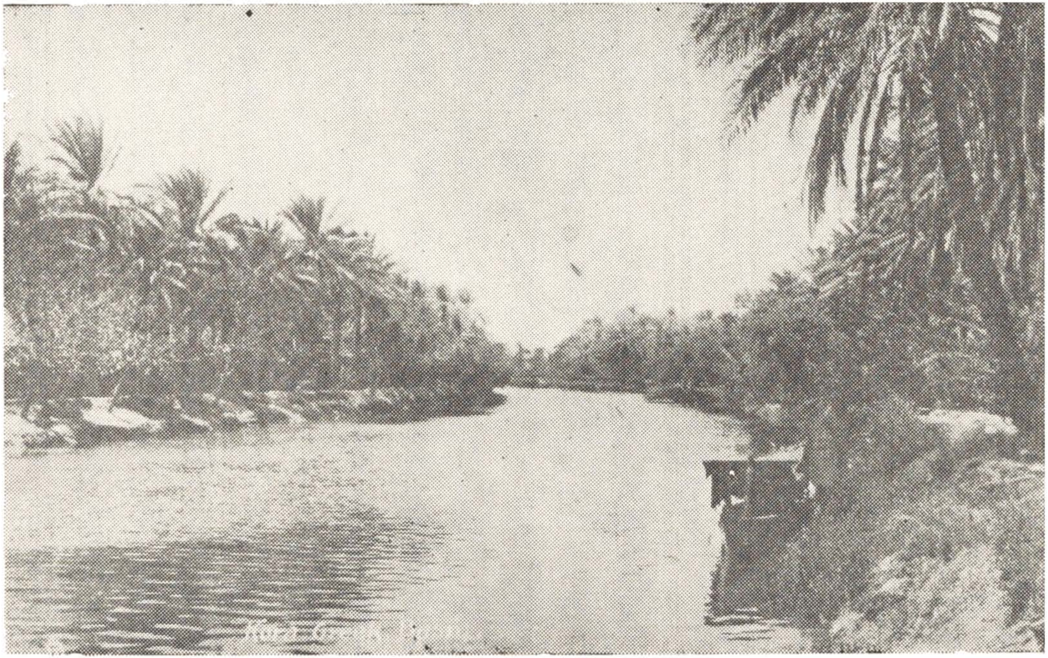
ومقـــر ولاتهـــا ومتصرفيهـــا

ان سراي الولاة فى أيام حكام العرب فى البصرة الحالية على عهد الدولة الصفوية كان مقره فى ديوان بيتهم الواقع فى المحلة المسماة (الديوانية) وهى المحلة التى تشعبت فيما بعد الى محلتين هما (الحدادة) و (الحكاكة) وقد انقسمت هاتان المحلتان ايضاً فى حدود سنة ١١٧٠ هـ - ١٧٥٦ م الى محلة (القبلة) و (الحكاكة) ولما آل أمر العراق الى الدولة العثمانية كما تقدم أخذت تحكم البصرة ولما فتح السلطان سليمان القانونى عين لها أول وال هو آياس باشا فى سنة ٩٥٣ هـ - ١٥٤٦ م وانشأت لولاتها ديواناً خاصاً يدعى السراى واختير موقعه على الضفة الجنوبية من نهر العشار داخل مدينة البصرة تجاه شرقى باب جامع السيف المسمى سابقاً بجامع (بكر بك)

وقد اشتهرت حارة هـــذا الديوان - السراي - بذلك الوقت بأسم محلة (حوش الباشا) نظرا لتعدد الباشوات الذين سكنوها من ولاة البصرة لا كما زعم بعض المؤرخين من انها سميت بهذا الاسم نسبة الى احد باشاوات اهل البصرة وذلك غير صحيح ولا ينطبق على الحقيقة لأن الدولة العثمانيـة لم تمنح احدا من اهل البصرة وحتى العراق بأجمعـــه لقب الباشوية الا بعـــد سنة ١٢٧٠هـ-١٨٠٣ م كما ورد فى رحلة الرحالة (نيبهور) الدانماركى ان هـــذا السراى كان موجودا فى سنة ١١٧٩ هـ - ١٧٦٥ م وكانت تتمع بقرب السراي تجاه غربى جهته القبلية بعض بيوتات للجاليات الاجنبية مع دارين للقنصـل الانجليزي والفرنسى يعرف مكانهما وقتئذ (بالشنيار) لأنهما كانا يرفعان علم حكومتيهما على هذه الدارين و (الشنيار) لفظه اعجمية بمعنى العلم .

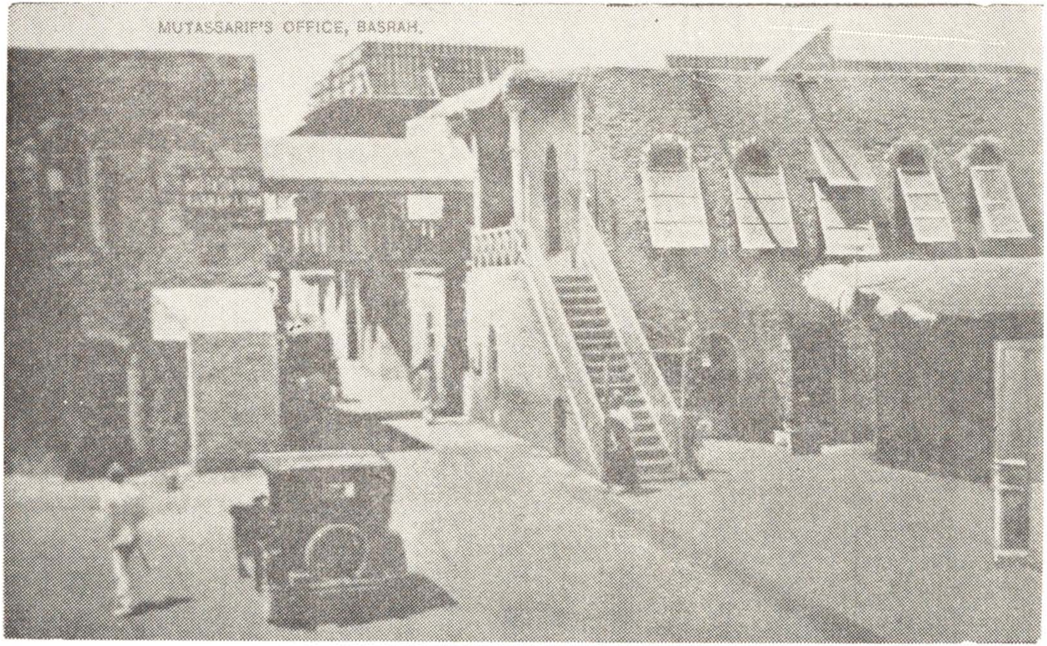
وقد خرب هذا المكان بسبب وباء الطاعون سنة ١١٨٨ هـ - ١٧٧٣ م وكذلك من حصار صادق خان الزندي سنة ١٧٧٤ و ١١٩٠ هـ - ١٧٧٦ م مع نكبات الطاعونين الاخرين الذين فتكا فى البصرة (ابو زوعة) فى سنة ١٢٣٦هـ - ١٨٢٠م و(ابو ربية) سنة ١٢٤٧ هـ - ١٨٣١ وصار محل (الشنيار) بعد ذلك تلا مرتفعا من تراكم وتكدس الزبل والاوساخ عليه وبقي يعرف بـ (الشنيار) الى ان استملكه فى السنين الاخيرة قسم من الاهالي والتجار واستملك القسم الآخر من قبل افراد اسرة بيت عبدالواحد فانشأت على ارضه البيوت منذ نيف واربعين سنة فقط وكان يحيط بديوان السراي المذكور من جهته الجنوبية ثكنات العساكر المدفعية ومن جهته الشمالية دائرة كمرك البصرة الى حدود سنة ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٩ م اذ فى تلك السنة انشأ والي البصرة (ويسي باشا) سرايا آخر بدلا منه جعله طابقا واحدا وبنى فوق بعض اقسامه قليلا من الغرف على الجهة الشمالية وكان موقعه ايضاً على الضفة الجنوبية من نهر العشار وغرباً الطريق العام وجنوباً حوانيت - دكاكين - سوق السيمر وشرقا نهر جسر الملح (والآن انشىء على ارضه دائرة الأوقاف ودائرة البلدية وامامها ساحة وطريق يصل ما بين البصرة والعشار) وهو على بعد نيف ومئة متر من شرقى جامع عبدالله اغا (متسلم) البصرة المسمى سابقاً جامع (اياس باشا) والي البصرة الاول الذي عين لها فى سنة ٩٥٣ هـ - ١٥٤٦ م وقد جمع - ويسي باشا - فى هذا السراي اغلب الدوائر الرسمية بما فيها السجون ولما هجرت اماكن السراي القديم والمدفعية التي كانت حوله وحولت دائرة كمرك البصرة الى صدر العشار اصبحت اغلب تلك الاماكن انقاضا متداعية وآل امرها بعد عدة سنين الى بيع عرصاتها للاهلين وقد استملك قسما منها فى الايام الاخيرة اسرة آل منديل والقسم الاخر استملكه الحاج محمود باشا العبدالواحد التي مازال عليها الان دورهما .

ولما عين اشرف باشا متصرفا للبصرة فى حدود سنة ١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ م



احدى مناظر (جنائن البصرة) نهر الخورة ملتقى الخلان والاصحاب

انتقل من هذا السراى فى محرم سنة ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م الى محل اخر يعرف (بالطوبخانة) المدفعية - الواقع على الصدر الجنوبى من نهر العشار على الضفة الغربية من شط العرب الكبير (الذى عليه الآن بناية مصلحة التمور) وقد شكلت بمساعي هذا المتصرف شركة من اهالي البصرة لجلب العربات وتسييرها بين البصرة والعشار تسهيلا لنقل الموظفين وغيرهم من أرباب المصالح والاشغال وسعى ايضاً الى تأسيس شركة اخرى من الاشراف والاعيان والتجار لمد خط ترامواى (حديدى) بين البصرة والعشار وجعل رأس مالها ستة الاف ليرة عثمانية ذهب ورفع مشروعه بنتيجة ذلك الى بغداد ثم قدمه الى استنبول لاستحصال الفرمان - الارادة السلطانية - بالامتياز ولكنه على اثر انفصاله من البصرة اهمل تعقيب المشروع وتحطمت العربات ورجع السير بين البصرة والعشار كما كان على ظهر الحمير وبطون الابلام (الزوارق) ومنهم على الاقدام الى سنة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م ولما عين ناصر باشا السعدون والياً على البصرة سنة ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م جعل ادارة السراى فى العشار فى مكان المدفعية المذكورة وأيد فكرة انشاء خط الترامواى الحديدى غير انه لم ينجح فى خططه ولم تنفذ بعد انفصاله من ولاية البصرة حيث بقى السراى داخل مدينة البصرة على حاله السابق وعندما عين المشير هدايت باشا والياً الى البصرة فى سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨ م باشر فى هدمه وتجديد بنائه على الطراز الحديث وذلك فى أواخر شهر ذى الحجة ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م وقد أناب على مراقبة بنائه كلا من الاى بيكى حسين حسنى بك (وادارة امينى) شريف بك وقد تم بناؤه فى أواخر سنة ١٣٠٨ هـ - ١٨٩٠ م على طابقين يحتوى الطابق الاعلى على نيف وستة وثلاثين غرفة كبيرة يفصل بين اكثرها مسلك واسع وجمع فى غرفه أغلب الدوائر الرسمية عدا الجنود النظامية والكمارك والبلدية ودوائر البرق و - الريجي - المكس والديون العمومية وغرفة التجارة (محكمة التجارة) وقد شيد من جهته الجنوبية اى بين خلف دكاكين سوق



سراى الحكومة بعد الاحتلال البريطانى البصرة سنة ١٩١٤م وقد فتح فيه طريق من بوابته الكبيرة آتية من البصرة الى العشار عوضاً عن الطريق السابق فى سوق السيمر وذلك فى سنة ١٩٢٠ م

السيمر وجدار السراى مسجداً صغيراً ليكون مصلى للموظفين وغيرهم خلال أوقات الدوام وعين لهذا المسجد مؤذناً يؤذن فى رواق السراى ويؤم المصلين فى أوقات الصلاة .

وكانت تتام فى ساحات هذا السراى مهرجانات عيدي الفطر والاضحى وافراح يوم ولادة السلطان وجلوسه على عرش الخلافة الاسلامية مع الاحتفالات التى كانت تعقد لاستماع قراءة فرامين تعيين ولاة البصرة .

ولما احتلت الجيوش الانكليزية ولاية البصرة فى ٣ محرم سنة ١٣٣٣ الموافق ٢٢ تشرين الثانى سنة ١٩١٤ فى الحرب العالمية الاولى استولت على السراى المذكور وضبطت جميع ما تبقى فيه من سجلات دوائر المحاسبة والطابو والأوقاف والمحاكم المدنية والشرعية والمعارف مع أوراق دوائر الولاية واشغلت قسما غير قليل منه . بدأت الحكومة البريطانية المحتلة بتعيين حكام عسكريين وسياسيين من قبل الحاكم السياسى العام الذى اتخذ له محلا خاصاً فى محلة (الكزارة) فى الدور المملوكة للمرحومين السيد عبدالقادر المدرس وسيد محمد سعيد المدرس ، المقابلة الآن ـ لمحطة البنزين فى السعودية ـ عينت السلطات البريطانية المحتلة الى البصرة حاكما عسكرياً وسياسياً وجعلت مقره بدار عبدالوهاب باشا القرطاس سابقاً والذى هو الآن لورثة آل صباح فى محلة السيف والثانى عين الى منطقة العشار وجعلت مقره فى دار آل الذكير بالعشار ثم نقلت الحاكم السياسى فى البصرة الى دار مزعل باشا السعدون سابقاً الواقعة على نهر العشار قرب جسر الغربان والتى هي ملك لورثة عبدالرحمن البدر .

وقبل اعلان الهدنة سنه ١٩١٨ هـ - ١٣٣٧ م وحدت السلطات الحاكمة حاكميها فى البصرة والعشار بحاكم واحد اتخذ مقره فى محل الحاكم السياسى فى الكزارة بعد أن نقل مركز الحاكم السياسى العام الى بغداد بعد احتلالها .

وعند تشكيل الحكم الوطنى فى سنة ١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ شرعت بتعيين

الاداريين الوطنيين فأسندت متصرفية البصرة الى المرحوم احمد باشا الصانع وهو أول متصرف يعين الى البصرة بعد خروج الحكومة العثمانية منها . اختار احمد باشا الصانع أن يكون مقر المتصرفية فى بناية القنصلية البريطانية الحالية (اذ عند الاحتلال البريطانى لم تبق أية صفة للقناصل) وهي الواقعة على الضفة الغربية من شط العرب الكبير شرقى محلة الكزارة وبقيت دائرة المتصرفية فى هذه البناية حوالي السنة حيث انتقلت بعدها الى السراى القديم داخل البصرة وهو السراى الذى انشأه هدايت باشا الآنف الذكر .

وقد اضيفت معها دائرة البلدية بعد أن هدمت باب السراى الكبير القبلية مع غرفة كانت فوقه اشغلها فى العهد العثمانى رئيس دائرة املاك السنية (المرحوم الحاج محمود باشا العبدالواحد) وفتح عوض هذا الباب طريقاً عاما اتصل بواسطته السير بين البصرة والعشار بدلا عما كان عليه السير فى مدخل سوق السيمر وصار يتصل هذا مباشرة من البصرة الى العشار (الجادة الرشادية) سميت من قبل والي البصرة سليمان نظيف بك عند فتحه هذا الطريق أى طريق العشار وهو الكاتب التركى الشهير وذلك فى سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠م وكذلك أزيل من قبل الحكومة القسم الأوسط من السراى والذى كان يحتوى على دوائر - الجندرمة - اى الضابطة - ودوائر الشرطة والمحاكم الشرعية وملحقاتهما الواقعة جنوبى ضفة العشار وشرقي السيمروالسجون .لما عين السيد علي جودت الايوبى متصرفا للواء البصرة بدلا من احمد الصانع فى ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م ابقى دائرة المتصرفية فى السراى المذكور مدة ثلاثة سنين تقريباً ثم سعى الى نقلها الى محلة الكزارة فى الدار الواقعة شمالي السعوديةالتى كانت نادياً لضباط الجيش البريطانى اثناء الحرب الاولى (العائدة ملكية أرضها أولا الى الحاج سلمان النعمة ثم باعها ولده عبدالله النعمة الى ساسون مرودى ثم آل أمر ملكيتها الى آل المنديل وآل شعيبي الشهيرة الآن بالسعودية وعليها الآن دور للسينما والملاهى والمقاهى وغيرها .)

ثم شرعت الحكومة المحلية بتهديم السراى القديم شيئا فشيئا وقد ابتدأت بالهدم من الجهة الشرقية التى كانت محلا للسجن مع دوائر رؤساء اركان الضباط بعد نقل السجن الى بنايته الجديدة الكائنة فى طريق باب الزبير تجاه (المستشفى الجمهوري) الان خارج سور البصرة الحالية وقد انشأت البلدية على ارض السجن القديم بناية خاصة بها ذات طابق واحد ثم جرى تهديم ما بقي من السراي من الجهة القبلية التى كانت تشغلها قائمقامية شط العرب بعد ان انتقلت المتصرفية الى الكزارة فى (السعودية) وبعد اتمام التهديم تسنى للبلدية ان تنظم امام بنايتها الجديدة شارعا بديعا تتفرع منه حدائق صغيرة وشارعان للرواح والمجىء .

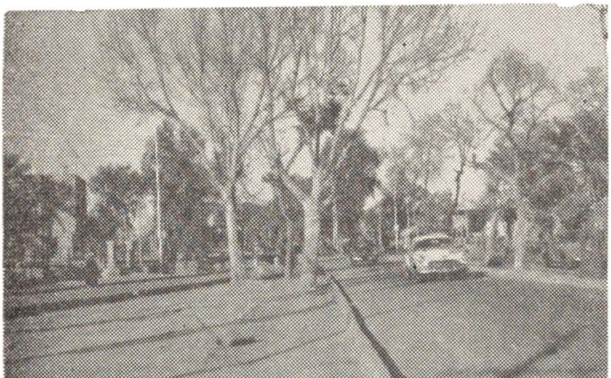
واخذت بعد ذلك دائرة اوقاف البصرة بقلع وتهديم جميع الحوانيت و (السبيلخانة) العائدة لها والتي كانت متصلة بجنوبى وقبلي السراى المذكور وانشأت على انقاضها بناية جميلة ذات طابق واحد وهى ملاصقة لدائرة البلدية الجديدة وذلك فى سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م واحيطت بعد ذلك بحديقة لطيفة فصار هذا الموقع بعد هذا التهديم والتعمير وما احاط بالبنايتين من حدائق بديعة أثرا بعد عين حيث لم يبق من سراى البصرة القديم شىء .

ديوان متصرفية لواء البصرة الحالى

وعندما عين السيد تحسين علي متصرفا للبصرة رأى ان يتداول مع اهل البصرة والعشار لاختيار موقع السراى الجديد فنسب قسم منهم ان يكون بناؤه داخل البصرة بالنظر الى ان العشار بطبيعته آخذ بالتقدم والعمران ونسب القسم الاخر وكلهم من سكنة العشار ان يكون البناء قريبا منهم وبعد جدل طويل ومراجعات مع رجال الدولة فى بغداد قرر الطرفان ان ينقسم السراى الى قسمين قسم المحاكم والطابو ويكون فى البصرة بالاضافة الى دائرة

البلدية والاوقاف ، هذا وقد تبرع اهالي البصرة بشراء ارضها الواقعة على الضفة الشمالية من نهر العشار امام محلة السيمر .

واما المتصرفية وما يتبعها فتكون فى العشار وقد انتهي الامر ووضع التصميم للسراى فأنشىء على الارض العائدة الى (الخنيني) قرب جسر ام البروم شرقى دائرة الكهرباء وقد تم تشييده على شكل بديع عصري ونقلت المتصرفية ادارتها اليـــه يوم السبت ١٢ جمادى الثانى سنة ١٣٥٥ هـ - ٢٩ - آب ١٩٣٦م وكانت حفلة افتتاحه عصر يوم الثلاثاء ١٥ - جمادى الثانية - ١٣٥٥هـ الموافق ١ - ايلول - ١٩٣٦ من قبل رئيس الوزراء المرحـــوم السيد ياسين الهاشمي يصحبه متصرف البصرة السيد تحسين علي وحضر الحفلة جميع الوجـــوه والاهالي ثم القى رئيس الوزراء كلمة الافتتاح وكانت موجزة واعقبه المتصرف وادير على الحاضرين كؤوس المرطبات وهكذا انتهى الحفـــل بكل هدوء ومسرة .



احدى مناظر شوارع مدينة البصرة الذى كان سراى الحكومة العثمانية سابقاً

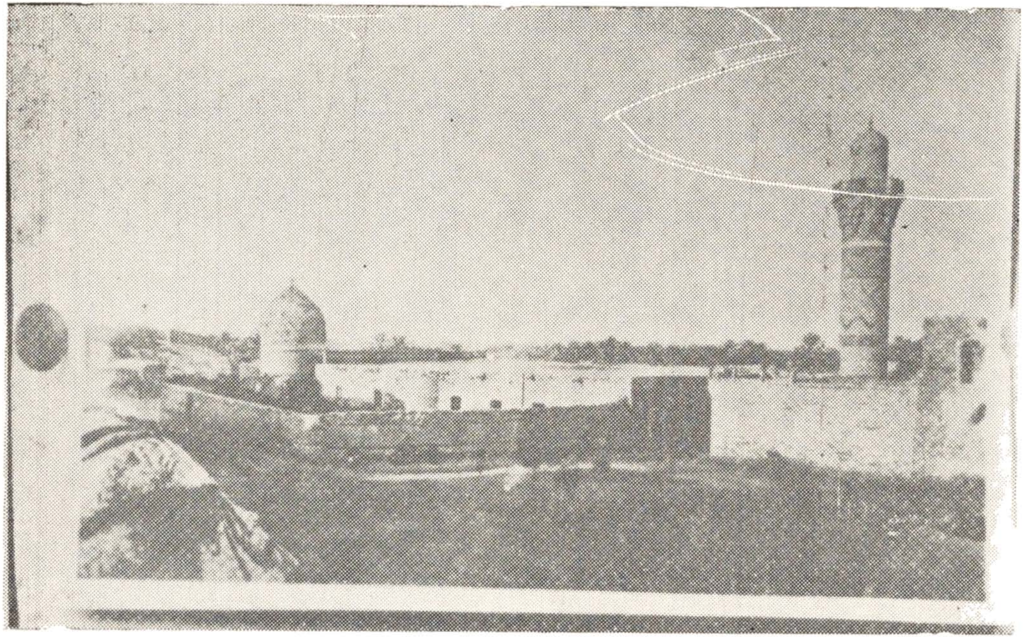
نبذة عن تأسيس وبناء جامع الكواز في البصرة

لما هاجرت اسرة آل عبدالسلام العباسي فى اوائل سنة ٨٠٠-٨١٠هـ وعلى رأسهم جدهم الاعلى الشيخ عبدالسلام الاول العباسي من البصرة القديمة الى البصرة الجديدة الحالية اسس الشيخ ساري بن الشيخ حسن الضاعن العبد السلام العباسي جامع الكواز بثلاثة ايام وقد بناه من القصب ايام منافسه امير البصرة شيخ مهنا بن رحمه قبل دخول الدولة العثمانية فى حدود سنة ٩٢٠هـ-١٥١٤م ثم بناه الشيخ عبدالقادر الكبير بن الشيخ ساري العبد السلام العباسي بناه بالحجارة فى سنة ٩٣٠ هـ - ١٥٢٣ م بعد ان كان مبنيا من القصب وذلك فى زمان شيخ طريقتهم الشيخ محمد امين الكواز شيخ الطريقة (الشاذلية) وفى سنة ٩٥٣ هـ - ١٥٤٦ م توفى المرحوم الشيخ محمد امين الكواز ودفن فيه وفى سنة ١٠١١هـ - ١٦٠٢م بنى الشيخ عبدالسلام الثانى العباسي القبة الموجودة الى الان على ضريحه وجدد بناء الجامع .

فى سنة ١١٤٠هـ - ١٧٢٧م بنى الشيخ انس باش اعيان البصرة العباسي مئذنة (بالزلاج) ليس فى البصرة مايدانيها . كما جدد بناء القبة التي على ضريح الشيخ محمد امين الكواز الموجودة الى الان .

هذا وان المرحوم الشيخ محمد امين الكواز ليس من اسرة آل عبدالسلام العباسي بل هو شيخهم واستاذهم فى العلوم واكراما لما قام به نحوهم من واجب التعليم وما جنوه من ثمار تعاليمه اقاموا له هذا الضريح وسمي الجامع بأسمه جامع الشيخ محمد امين الكواز .

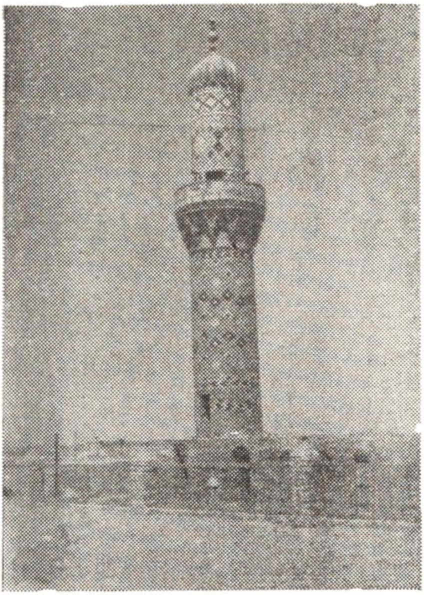
وكانت للجامع ايوانات واسعة ينزل فيها الغرباء والمنقطعون وفقراء



جامع الشيخ محمد امين الكواز

الموجود في محلة المشراق

الطريق ولازالت الاسرة اى ـ اسرة آل باش اعيان ـ تقوم بنفقات هذا الجامع ورواتب خدامه . وتقع قبلي الجامع وشرقيه فسحتان خصصتا لمقابر افراد الاسرة . وهو اول جامع اسس فى البصرة الحالية الجديدة وبنى اجداد اسرة باش اعيان العباسي مساجد كثيرة فى مختلف قرى البصرة (١) مسجد السراجي ولازال قائما بالمئذنة التى شيدوها (٢) مسجد فى مهيجران (٣) مسجد فى عويسيان (٤) مسجد فى ابى سلال (٥) مسجد فى العامية (٦) مسجد فى الكباسي . وكل هـــذه فى قرى البصرة لازال باقية تحت ادارة اوقاف البصرة .

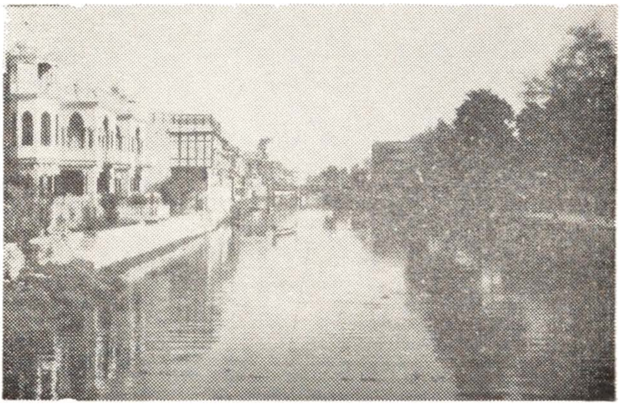


مئذنة جامع سيدنا الزبير بن العوام ومرقده
والذى استشهد فى سنة ٣٦ هـ

شط العرب

اذكر بهذه العجالة بعض الأدوار التى مرت على تكوين شط العرب من العصور الماضية بصورة مختصرة معتمداً على كتب التاريخ والاخبار الواردة فيها .

على الباحث فى تاريخ شط العرب وأسباب تكونه أن يلم الماماً تاماً بتاريخ حدود الخليج العربى والفارسى منذ أقدم عصور التاريخ حين كان الخليج أو بعبارة أوضح البحر يغطي مساحة واسعة من اراضى البصرة وما جاورها فلم يكن الرافدان (دجلة والفرات) يلتقيان يومئذ وانما كانا يصبان فى الخليج رأسا متوازيين غير متحدين يبعد الواحد عن الاخر مسافة عشرين ساعة (خلاصة تاريخ العراق ص ٧) .

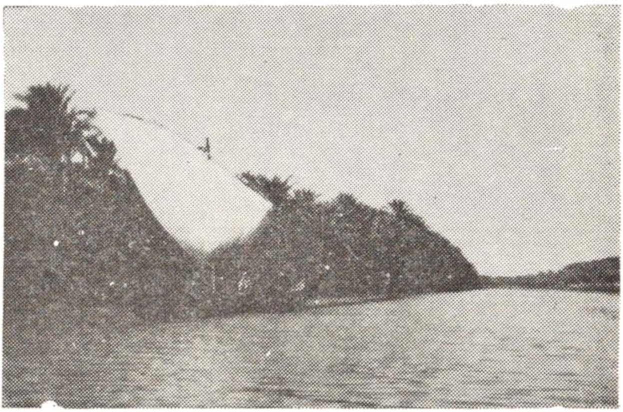


أحد مناظر نهر العشار فى مدينة البصرة

بحر مار مراتو ـ او الخليج العربى

اجمعت اسفار التاريخ القديم وأيدتها تنقيبات الأثريين وتحليلات علماء طبقات الارض (الجيولوجيين) ان البحر المالح او بحر مارمراتو كما كان اسمه قديما او الخليج العربى ـ الفارسى ـ كان فى فجر التاريخ للسلالة السومرية والاكدية ضاربا نحو البر أي عند ارض واسط وذلك فى اوائل الالف قبل الميلاد وكان على الساحل الغربى على الخليج تقع مدينتان مهمتان فى التاريخ القديم . الاولى مدينة (أور) التي سماها الكتاب المقدس ـ أور الكلدانيين ـ وهى التي ولد فيها سيدنا ابراهيم الخليل سنة ١٩٩٦ ق ب ويعرف موقع أور (بالمقير) و (ذي قار) قرب ناصرية المنتفك اليوم وكانت اور مركز التجارة البحرية تخوض سفنها فى الخليج .

والمدينة الثانية هى المدينة الشهيرة (أريدو) المعروفة اليوم تل ابوشهرين



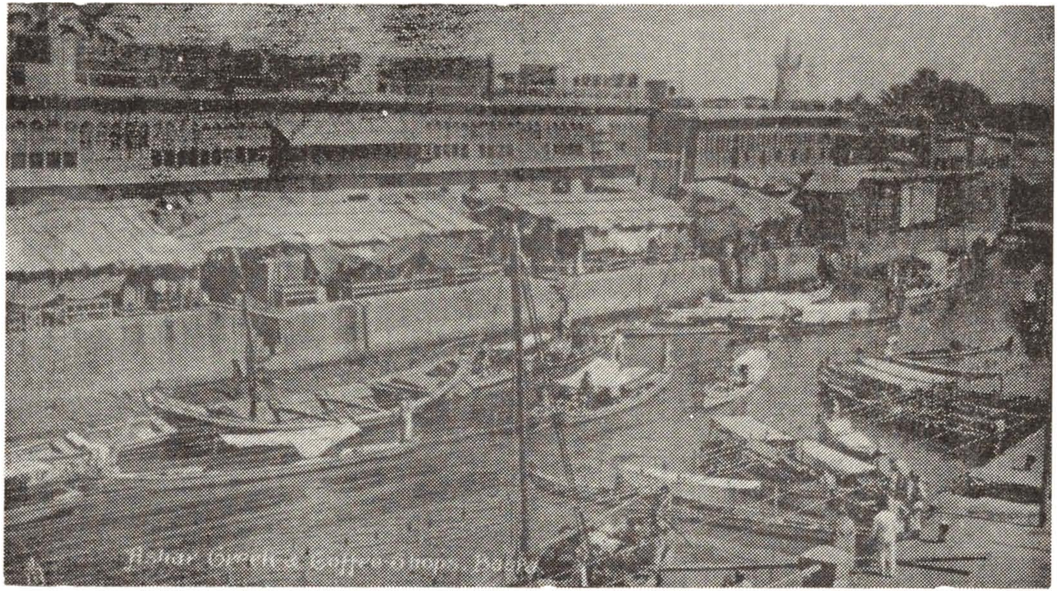
احدى مناظر شط العرب الصغير ويسمى الآن
بنهر الصالحية فى البصرة

وكانت اقصى مدينة سومرية فى جنوب العراق على ساحل الخليج وكانت ميناء تردها السفن البحرية ومركزا للتجارة العراقية تنتقل منها الى اور وغيرها وتقع آثار اريدو - تل ابو شهرين - اليوم فى الجنوب الغربى من اور - على بعد اربعة عشر ميلا منها وعلى اكثر من مائة ميل عن غربى ضفة شط العرب الحالي .

ولكي نزيد القارىء ايضاحا عن حدود الخليج آنئذ نقول انه كان يحده من الشرق آخر اسناد من جبال ايران شرق الاهواز ثم يمتد منعطفاً على مدينة - اور - واريدو - فكان يغطي مساحة واسعة من اراضى المذار (عبدالله بن علي) وشط الغراف جنوب قلعة سكر والشطرة باعتبار انعرضه اكثر من مائتي ميل .

تقلص الخليج وتراجعه نحو الجنوب

وكان يصب فى هذا الخليج نهر الكرخه وكارون ووادي البطن من البادية فكانت هذه الانهار الكبيرة الفياضة تحمل فى مجراها كثيرا من الطمي والرمال تلقيها فى البحر المذكور فتكونت عند مصبها عدة جزر اخذت فى التوسع شيئا فشيئا وصارت ارضا صالحة للزراعة والسكنى فسكنتها اذ ذاك اقوام سموا باهل البحر كانوا مصدر قلق للسومريين والاكديين . ففى اوائل الالف الثانى قبل الميلاد اتحد سكان بلاد البحر المذكور وانشأوا قومية واخذوا يهاجمون اهل الشمال . وبعد مضي مئات السنين تراكمت الرواسب على تلك الجزر فالتحمت بعضها ببعض واتصلت على التدريج تاركة فيما بينها اهوارا ومستنقعات يكثر فيها القصب والبردي وهكذا اخذ البحر يتراجع على مر السنين منسحبا الى الجنوب وتقلص بفعل الطبيعة من جانبيه شرقا وغربا واضاف الى ارض العراق ارضا اخرى قل مثيلها فى الخصب والنماء .

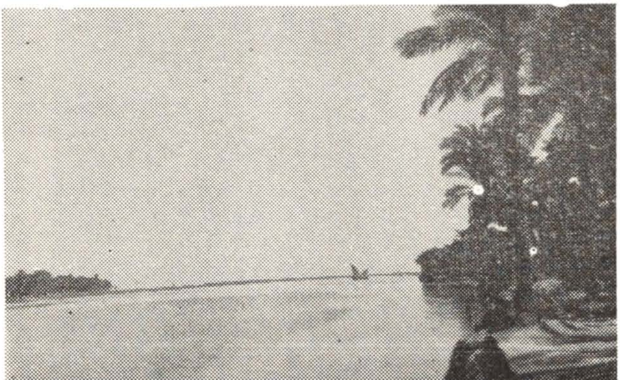


منظر سوق ونهر العشار من جهته الشمالية ويشاهد مأذنة جامع مقام سيدنا علي
قبل تبديلها بمأذنتها الجديدة الحالية

دجلة العوراء

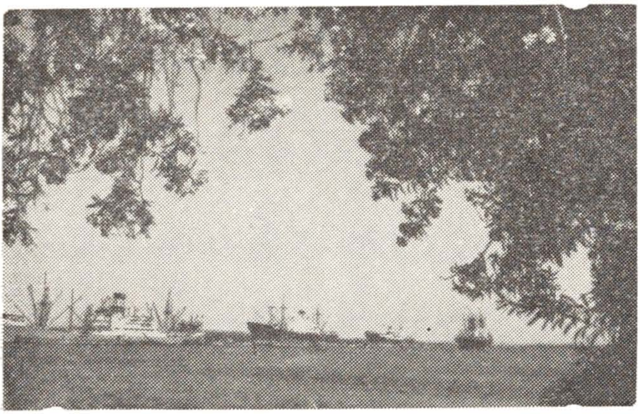
وبعد هذه الادوار التي مرت على المياه الاتية من اعالي العراق تكون شط سمي بعدة اسماء فى مختلف العصور كان يسمى - دجلة العوراء - كما جاء فى ياقوت فى المعجم ج ١ ص ٨٩ ويقال له الدجلة ويقال ايضا (الانجانه) الى ان ذكره السائح ناصر خسرو فى رحلته عندما اتى الى البصرة فى سنة ٤٤٣ هـ ١٠٥١ م بشط العرب ولم نعثر بكتب التاريخ على احد ذكره بهذا الاسم قبل هذا السائح . وهو الان يزدهر ببساتينه وقصوره ونخيله الباسقة التي تزيد مساحتها على جميع نخيل العالم وتقع عليه الموانىء والمبانى وتمخر فى عبابه البواخر الكبيرة حاملة الاموال والبضائع التجارية للعراق وايران وفيه ميناءان لتصدير النفط الاول للعراق والثانى الى ايران وهو متكون الآن من نهري دجلة والفرات ويمتد من قضاء القورنة الى مصبه فى البحر المالح عند ثغر الفاو .

ويصب فية نهر (السويب) الآتى من جهة اهوار الكرخة واهوار العمارة



احدى مناظر شط العرب الكبير فى البصرة

مقابل قضاء القورنة من الجهة الشرقية وكذلك نهر (كارون) الذى تقع عليه الآن المحمرة وتسمى ايضا (خرم شهر) العائدة للحكومة الايرانية ويأتى من جبال ايران من الجهة الشرقية ويبلغ طوله مائة وثمانية عشر ميلا بحريا ويتشعب منه ستمائة وسبعة وثلاثون نهرا كبيرا (سنذكرها فى تاريخ البصرة العظمى) من حد نهر (علي) داخل القورنه الى نهر الغزال عند بحر المالح (عدا الانهر الواقعة فى بعض الجهات من الضفة الشرقية التى هى تابعة الى ايران) . ويتفرع من كل نهر جعافر وجداول يصعب حصرها . واما الانهار الكبيرة فمنها القديم ومنها الحديث . ومنها ما يدل اسمه الحالي على اسمه الاصلي (القديم) . ومنها ماحرف اسمه مثل نهر (معقل) الذي حرف تحريفا شائنا .



احدى مناظر شط العرب الكبير
فى البصرة

نهر معقل

هذا النهر من الانهر الكبيرة المتشعبة من شط العرب وهو نهر قديم مذكور فى كتب التاريخ . حفر فى القرن الأول من الهجرة ويقع فى الجهة الغربية من شط العرب ونسب الى معقل بن يسار المازنى الصحابى (رض) وقد قال عنه البلاذري فى كتابه فتوح البلدان ما يأتى ـ كلم المنذر بن الجارود العبدي معاوية بن ابى سفيان فى حفر نهر فكتب الى زياد لحفر نهر معقل . فقال قوم جرى الحفر على يد معقل فنسب اليه وقال آخرون اجراه زياد على يد عبدالرحمن بن ابى بكره أو غيره فلما فرغ منه وأراد فتحه بعث زياد معقل بن يسار ففتحه تبركا به لانه من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الناس نهر معقل ـ .

وذكر القحذمى ان زياداً أعطى رجلا الف درهم وقال له ابلغ دجلة وسل الناس عن صاحب هذا النهر فان قال لك رجل انه نهر زياد فاعطه الف درهم فبلغ دجلة ثم عاد وقال ما لقيت احداً الا يقول هو نهر معقل فقال زياد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وذكر ياقوت الحموي فى كتاب معجم البلدان عبارة البلاذري بعينها وزاد فيها ذكر الواقدي ان عمر رضى الله عنه أمر أبا موسى الاشعري ان يحفر نهراً بالبصرة وان يجريه على يد معقل بن يسار فنسب اليه .

وقال فتح الله بن علوان الكعبي (من رجال القرن الحادي عشر الهجري) فى كتابه (زاد المسافر) فى ذكر حوادث البصرة سنة ١٠٧٨ هـ ما ملخصه ـ

اصحاب الناحية الشمالية والمراد بهم ما يلي : البصرة من الجهة الشمالية ويحدها شمالا القرية المعروفة بالشرش وتشمل على قرى كثيرة منها الرباط ومعقل والهارثة والدير ونهر الشرش . ثم قال نهر معقل أحد انهار البصرة

ينسب الى معقل بن يسار عبدالله المازنى سكن البصرة وابتنى بها داراً واختط هذا النهر فنسب اليه . توفى فى البصرة فى خلافة معاوية وقيل انه توفى فى ايام يزيد بن معاويه ويروى عنه عمر بن داود بن ابى القاسم التنوخي فى مدح معقل أبيات شعر هى : ـ

احبب الي نهر معقل الذي فيه لقلبي من هموى معقل
عذب اذا ما عب فيه ناهل فكأنه فى روض حب منهل
متسلسل فكأنه اصفائه دمع بخدي كاعب يتسلسل
واذا الرياح جرين فوق متونه فكأنه درع جلاه صيقل
وكأن دجلة اذ تغطط موجها ملك يعظم خيفة ويبجل
وكأنها ياقوتة أو أعين زرق يلام بها الحبيب ويوصل
عذبت فما تدري اماء ماؤها عند المذاقة أم رحيق سلسل
ولها بمد بعد جزر ذاهب جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
واذا نظرت الى الابلة خلتها من جنة الفردوس حين يخيل

انتهى ما قاله الكعبي .

وقد جعل موقع نهر معقل بين الرباط والهارثه وهو عين الموقع الموجود به النهر المذكور الى يومنا هذا وبما ان الكعبي من أبناء هذا البلد فنحن نعول على قوله اكثر من غيره .

لقد بقي هذا النهر ينسب الى معقل اكثر من اثنى عشر قرناً ومنذ قرن على وجه التقريب ابتاعت الشركة الانكليزية التجارية (بيت لنج) من أحد مشايخ آل سعدون الاراضى الواقعة على فم النهر المذكور وجعلته حوضاً لتصليح بواخرها النهرية ـ التى كانت تمخر بين البصرة وبغداد ـ ومن ذلك الوقت سمي نهر معقل باسم (كوت الافرنكى) ونسي اسمه الاصلي تماما .

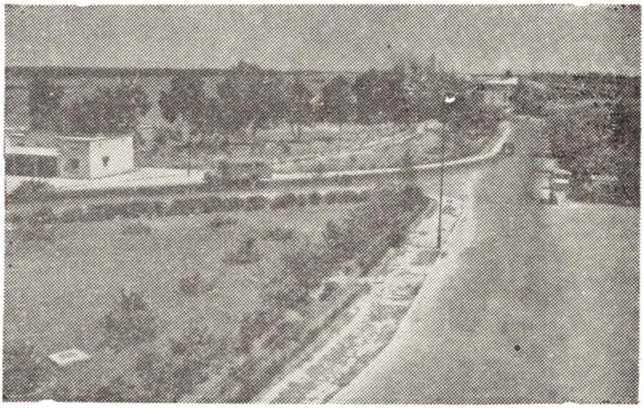
ولما احتلت الجيوش البريطانية البصرة فى سنة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م

اختارت هذا المكان ليكون ميناء بحرياً الى البواخر التجارية وغيرها التى كانت تأتى الى شط العرب حاملة الجنود والذخائر والعتاد عند احتلالها العراق ثم أعادت اسمه الاصلي (نهر معقل) واتخذت جميع الاراضى التى تحيط بتلك المنطقة بعد أن استملكت بقية البساتين الواسعة وانشأت عليها أرصفة ومخازن ودوراً للسكن وذلك على ضفة النهر المذكور (التى ما زالت آثاره باقية قرب نصب تمثال الحرية على ضفة شط العرب حالياً) كما انه مكتظ الآن بالسكان والدور والمخازن وتقع فيه ايضاً مديرية مصلحة الموانىء العامة ودوائر الكمارك ومحطة القطار كما انشىء فيها مطار عالمي وفندق يسمى (فندق شط العرب) وهو من افخم الفنادق العالمية . كل هذه الانشاءات بنيت على آخر ما وصل اليه النبوغ الهندسى كما انشئت فى تلك المنطقة محطة لتوليد الكهرباء وهى من اكبر وأعظم محطة للكهرباء فى العراق وأحواض سباحة ونواد فخمة تحيط بها حدائق غناء تخترقها شوارع معبدة . لقد اصبحت (منطقة المعقل) بلدة تفوق مدينة البصرة نفسها بنظام شوارعها وحدائقها وتنويرها وراحة سكانها وهى أشبه بالبلدان العصرية الحديثة التى يتم انشاؤها الآن فى عالم البناء .

واذا تأملت الديار وجدتها ... تشقى كما يشقى الأنام وتسعد

ان من عادة الغربيين لفظ حرف العين ـ همزة ـ وحرف القاف ـ كافا ـ فهم يقولون (ما كل) بدل معقل فظن بعض العوام فى بلدنا ان هذه الكلمة اعجمية ولم يقفوا عند هذا الحد من تحريف معقل بـ (ما كل) بل ان العوام حرفوه تحريفاً آخر فسموه ـ ماركيل ـ بجيم مصرية وقد شاع هذا التحريف الاخير المخجل وذاع حتى على السنة الادباء وخطته اقلام الكتبة كما استعملته دائرة الميناء عندما كانت الادارة بيد السلطات البريطانية فى مكاتباتها الرسمية . ولكن بعد أن نشر المرحوم المغفور له العم الشيخ محمد امين عالي باش اعيان

بحثاً نشرته مجلة الناشىء الجديد البصرية عن تسمية النهـــر المذكور تم تصحيح أغلب القيود والسجلات والمخابرات الرسمية وغيرها وشاع لفظ اسمه الصحيح (معقل) . إلا انه ويا للاسف لا زال بعضهم يسمونه باسمه المحرف حتى الآن حتى انهم شوهوا اسمه المحرف واخذوا يسمونه (ماركين) بدل (ماركيل) .



احد مناظر شوارع معقل التى فيها مصلحة الموانىء العامة فى البصرة

المكتبة العباسية

لاسرة آل باش أعيان العباسيين

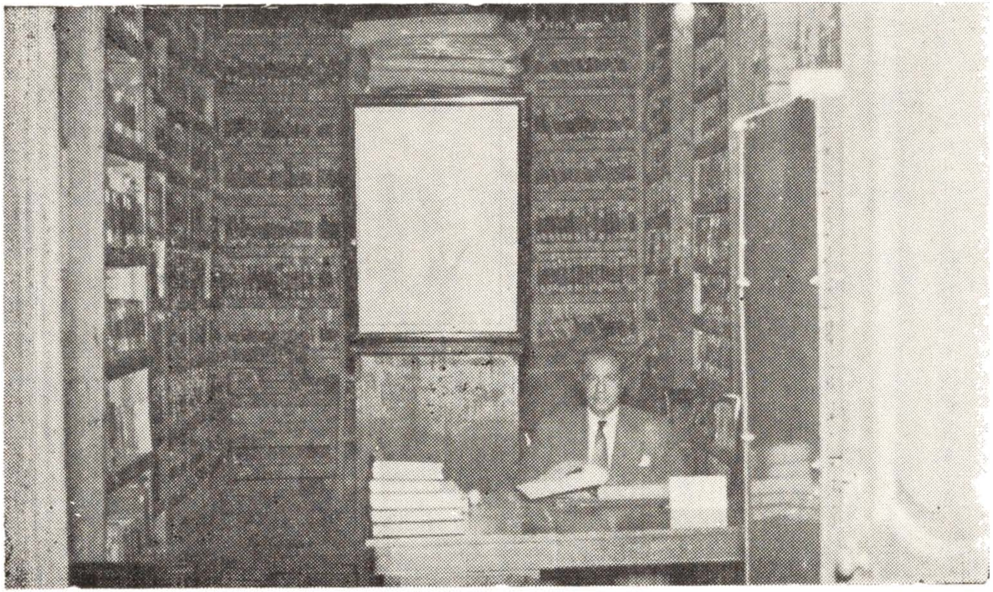
في البصـــرة

ان المكتبة العباسية لاسرة آل باش اعيان العباسيين فى البصرة هى من المكتبات التي تسترعي اهتمام من يهمه امر الكتب والدساتير ولا يختص ذلك بشخص دون آخر وصنف دون صنف فيجد المؤرخ ما يعنيه فى امر التاريخ والاديب فى ادبه ووو ... الخ . واما هواة الكتب الخطية ولاسيما القديمة النادرة فانهم يجدون فيها من مختلف المواضيع الامر الذي لامحيص عن معرفته وعلى الاخص مايخص علم الرجال والتاريخ عدا مافيها من الكتب فى مختلف العلوم الدينية .

ان هذه المكتبة من المكتبات القديمة فى البصرة وهى لاتقل من جهة التاريخ عن الاربعمائة سنة بل اكثر والعارف الخبير باحـــوال مكتبات الشرق الاوسط وعلى الاخص العراق وسوريا وتركيا وايران يعلم ان جل هذه المكتبات من اربعمائة سنة اخذت بالتدهور والاضمحلال وتفرقت كتبها الى بلاد الغرب والهند ونحو ذلك فاذن لا نغالي اذا قلنا ان المكتبة العباسية كانت اكبر واعظم واوسع مما هى عليه الان .

فيها من المخطوطات فى مختلف العلوم والفنون ما يزيد على الالف وخمسمائة مخطوط ومما يزيد الاهتمام فى امر النسخ الخطية انها تحتوي على اقدم المخطوطات مثل :

١ ــ الايضاح فى الوقف والابتداء ـ تأليف محمد بن القاسم الانباري ومنه نسخ مخطوطة غير هذه النسخة فى بلدية الاسكندرية وسليم آغا والاحمدية



المكتبة العباسية لاسرة باش اعيان في البصرة وقد تصدر المكتبة عميد
اسرة آل باش اعيان الشيخ عبدالقادر باش اعيان العباسي - ٢٠ نيسان ١٩٥٨ -

بحلب وكبريل والاوسكريال . وله مؤلفات كثيرة تقارب الواحد والعشرين كتابا مخطوطا طبعت دائرة المطبوعات والنشر فى الكويت منها ـ كتاب الاضداد ـ فى سنة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م . كانت ولادة المؤلف فى بغداد ٢٧١ هـ ـ ٨٨٤ م ووفاته سنة ٣٢٧ هـ ـ ٩٣٨ م وعلى المخطوط فى سنة ٥٤٠هـ ١١٤٥ م وهو من اكابر العلماء والمؤلفين . له كتاب (غريب الحديث) ذكره ابن النديم وقال ابن خلكان قيل انه خمس واربعون الفورقة ـ وذكره ابن الاثير فى مقدمة كتابه النهاية . وله ايضاً ـ الكافى فى النحو ذكره ابن النديم وياقوت وقال ابن خلكان هو نحو الف ورقة . وعمل عدة من دواوين الشعراء ذكر منهم ابن النديم . زهيراً والنابغة الذبيانى والاعشى والجعدي والراعي .

٢ ـ كتاب العيون والنكت للماوردي ـ الجلد الخامس من تفسير القرآن الكريم وعليه وقفية بنت المستعصم الخليفة العباسى تأليف اقضى القضاة ابى الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي . وهذا نص الوقفية (هذا ما وقفه وتصدق به الجهة الشريفة المكرمة المقدسة الزكية المعظمة السيدة الكبيرة الرضية الامينة الرحيمة الرؤوفة النبوية الامامية الطاهرة البرة جهة سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ابى احمد عبدالله المستعصم بالله أمير المؤمنين ثبت الله دولته واعلى كلمته على طلاب العلم رغبة فيما عند الله تعالى من حسن الثواب وذخراً صالحاً ليوم المآب وأمرت أن تكون بالمدرسة الميمونة التى أمرت بانشائها بظاهر محلة شارع بن رزق الله بالجانب الغربى من مدينة السلام وان يعار برهن حافظ للقيمة فمن بدل ذلك أو قصر فى حفظه ممن يتولاه أو يستعيره أو غيرهما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله تعالى منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا فمن بدله بعد ما سمعه فانما أثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم . وكتب فى شهر رمضان

المبارك من سنة ٦٥٢ هـ - ١٢٥٤ م اثنين وخمسين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله)

٣ — ديوان ذي الرمة - واسمه غيلان بن عقبة بن بهنس بن مسعود . برواية ابى يعقوب يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن خرذاذ النجيري . قرأه على ابى الحسن علي بن احمد بن محمد المهلبي وقرأه على ابى العباس احمد بن ولاد عن ابيه ابى العباس بن يحيي بن ثعلب .

كتب على الصفحة الاولى الجزء الاول كمل بتاريخ ٢٥ ذي القعدة سنة ٦٩٥ هـ - ١٢٩٦ م .

٤ — كتاب الاكتساب فى تلخيص كتب الانساب - تأليف قطب الدين محمد بن محمد بن عبدالله بن خضر الخيضري الشافعي الدمشقي المتوفى سنة ٨٩٤ هـ ١٤٨٨ م الجزء الاول بخط المؤلف . فرغ من تأليفه ١٢ شوال ٨٤٤ هـ بالقاهرة وهو مؤلف قيم ضمنه مؤلفه مادة واسعة لا يستغنى عنها أي باحث فى التراجم والانساب وكتب على الصفحة الاولى تقريظ بخط شهاب الدين علي ابن حجر العسقلانى الكنانى المصري المتوفى سنة ٨٥٢ هـ وكذلك كتب المقريزي على نصف الصفحة الاولى قال (بحمدالله سبحانه ابتديء واستفتح وبهداه تقديمي اسمه اهتدي واستوضح) وجاء فى آخره قال ذلك وكتب فقير عفو الله احمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد بن ابراهيم المقريزي لعشر مضين من ذي القعدة الحرام سنة ٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م قبل وفاته بسنة .

واما تاريخ ما كتبه العسقلانى فكان فى صفر سنة ٨٤٥ هـ فهذا المخطوط يحتوي على مخطوطات لثلاثة من كبار العلماء فى ذلك العصر ويعد من اندر المخطوطات لما حواه من تواقيع وتقاريظ العلماء المذكورين :

٥ — كتاب المدهش - لابى فرج عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م رتبه على خمسة أبواب : ١- فى علوم القرآن ٢- فى

تصرف اللغة ٣- فى علوم الحديث ٤- فى التاريخ ٥- فى المواعظ . فرغ من تأليفه يوم ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٩١ هـ - ١١٩٤ م فى جزئين بخط نصرالله ابن محمد الجزائري وقد فرغ من كتابته سنة ١٠٩١ هـ - ١٦٨٠ م .

٦ — مستقصى الأمثال - تأليف جار الله محمود الزمخشري . تطرق الى كثير من امثال العرب وخواص الحيوانات والزمن والحشرات . توجد منه نسخة بالمكتبة الخديوية بمصر وفى مكتبات أوربا . من مخطوطات القرن العاشر .

٧ — عجائب المخلوقات - تأليف زكريا بن احمد بن محمود القزويني . يحتوي على بحوث جغرافية وفيه دوائر كبيرة اشتملت على عدة دوائر ومثلثات تشير الى صورة البحر المحيط كما تخيله المؤلف وهو غريب فى بابه من مخطوطات القرن الحادي عشر . نقص من أوله ثلاث صفحات وأكمل بخط مالكه الشيخ عبدالله باش اعيان العباسى فى ٤٥٨ صفحة .

٨ — نهج البلاغة - جمع واختيار الشريف الرضى المتوفى سنة ٤٠٦ هـ - ١٠١٥ م على الصفحة الأولى منه مجموعة كتابات لفريق من العلماء أمثال جمال الدين علي بن ناصر الحسني وابى يوسف يعقوب بن احمد وابى الحسن بن عبدالله العسكري وغيرهم . ونسخة اخرى فى جزئين مخطوطة باحرف بارزة .

٩ — كتاب نيل مصـــر - لجلال الدين المحلي نسخة نادرة بتاريخ ١٠٥٣هـ -١٦٤٣م وهواحسن كتاب فى البحث عن نيل مصر كتب على رسالة صغيرة وهو وحيد فى بابه .

١٠ — البردة - للبوصيرى ملونة مكتوبة بألوان جميلة ومذهبة وذات نقوش دقيقة مجهولة الاصحاب باللغة التركية .

١١ — زبدة التواريخ أو تاريخ مصر - مجهول المؤلف نقص من أوله الديباجة بحث فى سير رجال القرنين الهجريين السابع والثامن اكثر روايته عن صلاح الدين الصفدى رتبه على السنين وصل به الى عام ٧٦٨ هـ - ١٣٦٦ م

وابتدأ به فى ذكر عجائب مصر فى ٥٧٠ صفحة .

١٢ — قصيدة البردة ـ البوصيرى مجدولة صفحاتها بالذهب وفى كل صفحة منها ثلاثة جداول عريضة من بينها ثلاثة اسطر مربعة وكل صفحة فيها مربعتان كل واحدة منها كبيدق الشطرنج محاطة بجداول ذهبية . وفى الصفحة الاولى لوحة نقشت بالذهب والميناء والثانية على جانبها تشجير مطعم بالذهب وغلافها نقش نقشاً مجسما تخلله تطعيم بالذهب وقد ذهبت روعته لتقادم عهده .

١٣ — الشاهنامة ـ للفردوسي شاعر الفرس . من انفس المخطوطات ففي الصفحة الاولى منها نقش نصفها الاعلى نقشا مدهشا طعم بالميناء والذهب والصفحة قسمت الى اربعة اعمدة محاطة بخطوط عريضة مذهبة وفى الوسط ثلاثة اعمدة عن اليمين والشمال رسمت بالمداد الاحمر والوسط بالمداد الازرق واشتملت على ثلاث عشرة صورة كلها تمثل الادوار وحياة الملوك وعروشهم وتيجانهم وحاشيتهم وملكاتهم ووصيفاتهم وفرسانهم بادوار مختلفة كلها ملونة بالميناء والذهب وكل صورة منها تحفة ثمينة لا تقدر بثمن ونادرة وعلى ورق (ترمة) يقع بجزئين فى جلد واحد الأول ٣١٤ صحيفة وهو من مخطوطات القرن العاشر الهجري .

١٤ — الصحيفة السجادية ـ لزين العابدين بن السجاد . وهى من مخطوطات سنة ١١٠٣ هـ - ١٦٩١ م .

١٥ — العالي الرتبة فى احكام الحسبة ـ لمؤلفه احمد بن موسى الخوي الدمشق بخط المؤلف يحتوي على مائة فصل فى الحسبة وخمسة اجزاء وكل جزء يضم عشرين باباً لم يكمل مؤلفه من خط الاجزاء إلا جزءاً واحداً وتوفى ولم يكمل الاربعة الاجزاء الاخرى وهذه النسخة هى الوحيدة فى العالم من القرن السادس الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) .

١٦ — خواص المركبات ويسمى ذخيرة الملك اسكندر ذى القرنين ـ

فيه رسوم وطلاسم وأدعية ومؤلفه الحكيم المعلم أرسطاطاليس نقلا عن الحكيم (بلنياس) وهذا أخذه من الصحف المودعة فى سرداب البحر من قبل (هرمس) وهو نبي الله أدريس عليه السلام (هكذا كتب على أول صفحة منه) . وهو من مخطوطات القرن الحادى عشر . وهى رسالة صغيرة الحجم .

١٧ — تذكرة أولي الألباب والجامع للعجيب العجاب - بحث فى الطب للشيخ داود بن عمر الانطاكى الطبيب الضرير المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ - ١٥٩٩ م رتبه على مقدمة واربعة أبواب وخاتمة ولم يكمله فأتمه بعض تلامذته .

١٨ — الحاوي فى علم التداوى - تأليف نجم الدين محمود بن ضياء الدين الشيرازى من اطباء القرن السابع الهجرى رتبه على خمس مقالات ١ - فى العلل ٢ - فى الحميات ٣ - فى علل الاعضاء ٤ - فى الادوية المفردة ٥ - فى الادوية المركبة وكيفية تركيبها واستعمالها .

١٩ — الدستور والقوانين — تأليف نجيب الدين ابى حامد محمد بن علي ابن عمر السمرقندى المقتول بهراة عام ٦١٦ هـ - ١٢٢٢ م على ايدى التتار . تبسط فيه بعلم الطب .

٢٠ — الطب النبوى — تأليف ابى عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الفارقى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م رتبه على ثلاثة فنون ١ - فى قواعد الطب ٢ - فى الادوية والاغذية ٣ - فى علاج الامراض ، من مخطوطات القرن الثامن الهجرى .

وغيرها من الكتب النادرة التى ليست موجودة فى مكتبات العالم .

تآليف اجدادنا وما قيل وكتب عنهم

اما ما يرجع لاجداد بيتنا وآثارهم التى كانت شهرتهم بآل عبدالسلام الكوازيين العباسيين فلهم عدة مؤلفات فى مختلف العلوم والفنون مثل :

١ — مناقب الكوازين - تأليف الشيخ علي بن الولي الشيخ عبدالقادر

ابن سارى العباسى البصرى المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ - ١٦٥٩ م عن (٩٥) عاما أوله بعد البسملة وبه نستعين على أمـــور الدنيا والدين ورزقنا الله والمسلمين حلاوة الصدق والتصديق واليقين .

والكواوزة أحد الالقاب التى لحقت باسرة آل باش اعيان العباسيين نسبة الى شيخ محمد امين الكواز . مخطوط فى سنة ١١٨٥ هـ بخط محمد خليفة ابراهيم .

٢ ـــ تمائم الدرر فى مناقب السادات الغرر ـ رتب على أحد عشر فصلا فيه لمحة تاريخية عن البصرة وعن اعمال الشيخ عبدالسلام بن الشيخ عبدالقادر الكوازى العباسى المتوفى سنة ١٠٣٥ هـ ـ ١٦٢٥ م وقد ذكر فى مواقع ترجمته مآثره الانسانية على الولاة الطغاة وفى حماية البصرة من هجمات الاعراب والأعاجم وكذلك ذكر بره وكرمه بالمنقطعين واللائذين وكذلك اظهاره قبور الصحابة المدفونين فى اراضى البصرة القديمة كبناء ضريح سيدنا الزبير وسيدنا طلحة بن عبيدالله وضريح سيدنا الحسن البصرى . وبنى رواقا بجانب الأثر القائم من جامع البصرة القديم ليصلي به المارة بين الزبير والبصرة . كمل بخط ملا ياسين البغدادى الحنفى سنة ١١٧٢ هـ - ١٧٥٨ م .

٣ ـــ اللطائف السنية فى شرح المقامات الحريرية ـ تأليف احمد بن يوسف الكوازى العباسى البصرى المتوفى فى الطاعون عام ١١٨٨ هـ - ١٧٧٤ م كمل أوله وآخره بخط المؤلف فى سنة ١١٧٥ هـ فى ٧٨٨ صحيفة أوله ـ الحمد لله الذى أحل أهل الأدب أعلى المقامات ووسمهم بالفصاحة والبلاغة اللتين هما اشرف السمات ـ وشرحه اشتمل على ناحيتي المعنى والاعراب وفى آخره صفحات بخط دقيق اشتملت على شرح الكلمات اللغوية التى وقعت فى المقامات وهى تنبيهات ابي محمد عبدالله بن احمد الشهير بابن خشاب البغدادى .

٤ ـــ المجموع فى الطب ـ تأليف الشيخ احمد بن يوسف الكوازى العباسى

الشافعي المتوفى سنة ١١٨٨ هـ - ١٧٧٤ م بطاعون البصرة بخط المؤلف وهى رسالة صغيرة .

٥ — بغية الاريب فى وصال الحبيب - مقامة للشيخ محمود بن طه آل عبدالسلام الكوازى العباسى بخط عبدالله بن عيسى بن اسماعيل سنة ١٢٢٩هـ - ١٨١٣ م وفيها تقاريظ منها للعلامة الشيخ محمد السويدى والشيخ حسين العشارى المتوفى سنة ١١٨٧ هـ - ١٧٧٣ م وتليها مقامة للشيخ عبدالله السويدى انشأها عندما كان فى دمشق .

٦ — ديوان مجهول الناظم - جميعه فى مدح الشيخ احمد بن درويش آل باش أعيان المتوفى سنة ١٢١١ هـ - ١٧٩٦ م كتب عام ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م بواسطة الاستاذ عباس العزاوى .

٧ — المجموعة العباسية - تأليف الشيخ عبدالله بن الشيخ عبدالواحد آل عبدالسلام العباسي الشافعي البصري فرغ من تأليفها فى سنة ١٢٧٩ هـ وقد سجل فيها بعض النكات التاريخية والادبية وتليها قصة الجمل والغزالة وامثال ذلك من فصول ادبية فى ٦٠٠ صحيفة وكانت وفاة المؤلف سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م .

٨ — آل باش اعيان العباسيين - تأليف الشيخ عبدالله باش اعيان العباسي ترجم لستة عشر علما من اجداده بخط خليل ابابان كتبه على نسخة بمكتبة الاوقاف العامة الموجودة برقم ٣٨٠٧ .

٩ — مساجد البصرة - للشيخ احمد نور الانصاري الشافعي قاضي البصرة . وهو تاريخ مختصر للمساجد التى اسست فى البصرة منذ تأسيسها الى عصره . توفى المؤلف سنة ١٣٠٢ هـ ١٨٨٤ م فى البصرة .

١٠ — النصرة فى اخبار البصرة - للشيخ احمد نور الانصاري الشافعي ذكر فيه تاريخ البصرة بصورة اشبه بالفهرست الفني الذي يهدى الباحث

الى معرفة المصادر التي تعينه على الاستقصاء السريع بخط المؤلف فرغ منه سنة ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م .

١١ — سلم العوالي - مجموع اشتمل على كثير من الرسائل والمسائل والمنظومات والقصائد المشتهرة وقد شرح بعضها فى ٢٨ رسالة بخط الشيخ عبدالله باش اعيان العباسي بتاريخ ربيع الثاني ١٢٨٦ هـ - ١٨٦٩ م وفى آخره قصيدة ابن سيناالعينية بشرح ابن كمال باشا بخط النسخ سنة ١٢٦٤هـ١٨٤٧م

١٢ — الفتوحات الكوازية فى السياحة الى الاراضي الحجازية - تأليف المرحوم الشيخ عبدالله باش اعيان العباسي طبع فى سنة ١٣٠٨ هـ - ١٨٩٠ م وكانت وفاة المؤلف سنة ١٣٤٠ .

١٣ — كتاب زبدة التواريخ - للمرحوم الشيخ عبدالواحد بن الشيخ عبدالله باش اعيان العباسى البصرى بحث فيه عن أول تأسيس البصرة الى نهاية الحكم العثمانى فى البصرة يحتوى على اخبار تاريخية واسعة مخطوط فى (١٥) جزء ولقد اشتهر وصار حديث ألسنة الادباء والمتتبعين . توفى المؤلف سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م .

١٤ — تاريخ النصرة فى تاريخ البصرة - للمرحوم الشيخ عبدالواحد باش اعيان العباسى . مختصر تاريخ البصرة بخط المؤلف يبتدىء من سنة ١٤هـ الى نهاية الحكم العثمانى واحتلال البصرة من قبل الانكليز سنة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م .

١٥ — اسماء مشاهير البصرة - تأليف الشيخ محمد امين عالي باش اعيان العباسى بحث فيه اسماء الاعلام الذين نشأوا في هذه المدينة بصورة مختصرة وهو كمدخل الى تأليف موسوعة كبرى عن أعلام البصرة . كتبه عندما كان مبعداً من قبل السلطات البريطانية بعد احتلالها البصرة سنة ١٩١٤ م فى الحرب العالمية الأولى وتاريخها سنة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م وكانت وفاة المؤلف فى البصرة سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م .

١٦ — جولة فى ربوع الهند . تأليف الشيخ محمد امين عالي باش اعيان العباسى اشتمل على اثنى عشرة رسالة مبسطة بعث بها من بومبي الى البصرة وصف بها مشاهداته وانطباعاته وما تأثر به من خواطر وآراء وما استملحه من آثار هناك وقد نشرت هذه الرسائل فى حينها بجريدة (البصرة الفيحاء) وعند عودته جمعها وقدم لها وفرغ منها عام ١٣٣٠ هـ .

١٧ — الشاب العصرى والشيخ البصرى — طبعت فى سنة ١٣٤٠ هـ – ١٩٢١ م ومثلها اغلب معلمي مدارس البصرة وهى رواية أدبية صغيرة وخصص ريعها أعانة لطلاب المدارس بوقتها . تأليف المرحوم الشيخ محمد امين عالي باش اعيان العباسى المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م .

١٨ — كتاب مرشد الابناء الى حكام البصرة الفيحاء - تأليف الشيخ محمد امين عالي بن الشيخ عبدالله باش اعيان العباسى الشافعى البصرى كتبه فى سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٦ م يبتدىء من سنة ١٤هـ - ٦٣٥م لأول حاكم عين للبصرة فى دور الخلفاء الراشدين وفى دور الامويين حتى آخر دور الخلافة العباسية لآخر أمير لها سنة ٩١٨ هـ وثم يبتدىء من عهد الدولة العثمانية عندما فتح العراق السلطان سليمان القانونى عين لها أول وال الوزير آياس باشا سنة ٩٥٣ هـ ١٥٤٦ م الى نهاية الامبراطورية العثمانية فكان آخر وال عين للبصرة الطبيب رشيد بك الذى وصل بغداد بعد سقوط البصرة بيد الانكليز فى ٣محرم ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م . وهو يحتوى ايضاً على اسماء عدد من رؤساء الدوائر الرسمية فى البصرة فى العهد العثمانى من سنة ١٣٠١ هـ الى سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م وفيه بعض الوقائع التاريخية . وكانت وفاة المؤلف سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م فى البصرة .

١٩ — رسالة خطية فى تاريخ سكينة بنت الحسين عليه السلام .

٢٠ — بلوغ المرام فى مناقب آل شيخ عبدالسلام العباسى - لمؤلفه الشيخ ياسين باش اعيان العباسى وهى رسالة بخط المؤلف تحتوى على مختصر تراجم

أفراد اسرة آل باش اعيان العباسيين وذلك منذ هجرتهم من بغداد لما داهمها الطاغية هولاكو بعد أن ضعضع عرش الخلافة وفيها بعض الاخبار والوقائع التاريخية والسياسية والمشاريع الخيرية والدينية والآثار الاسلامية والأدبية وقد أدرج فيها ترجمة بعض الفرامين السلطانية التي صدرت بحقهم من سلاطين آل عثمان مع ترجمة بعض من (البيورلديات) الاوامر التي وردت بشأنهم من ولاة بغداد والبصرة وذلك منذ دخول البصرة فى حوزة الدولة العثمانية سنة ٩٥٣ هـ الى آخر سلطنة السلطان عبدالحميد الثانى سنة ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م وقد توفى المؤلف فى سنة ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م

٢١ — تاريخ البصرة العظمى - تأليف المرحوم الشيخ ياسين باش اعيان العباسي بخط المؤلف . غير كامل . فيه بحث عن تأسيس البصرة من سنة ١٤ هـ حتى سنة ٧٠٠ هـ وفيه بحث واسع عن حوادث البصرة وما مرت عليها من أدوار وحروب ومصائب وهو اشبه بدائرة معارف لم يسبق أحد من المؤرخين والمتتبعين ان سلكوا مثله ولو ان الله سبحانه وتعالى فسح له فى الاجل لصار هذا التاريخ حدثاً عظيما فى عالم التاريخ ولكن عاجلته المنية مع الاسف بعد أن (فقد بصره) وقد أعيد له بعض منه بعد أن سافر الى القاهرة وكانت همته ضئيلة بعدئذ اذ منعه الاطباء من القراءة وبقى مؤلفه حتى الآن مبتوراً بنصف الطريق .

وكانت له عدة مؤلفات عن عشائر العراق وبعض الاخبار . وقد توفاه الله فى ١٧ حزيران ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م ودفن بمقبرة اجداده بجامع الكواز فى البصرة عليه الرحمة . واذا ساعدنى الوقت فسأسعي لاكماله على قدر الامكان ومن الله التوفيق .

٢٢ — عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد - تأليف ابراهيم فصيح الحيدرى بن صبغة الله بن اسعد صدرالدين بن عبدالله الحيدرى البغدادى الذى ولد سنة ١٢٣٥ هـ وهو من أعلام الاسرة المعروفة . أخذ

العلوم على بعض أعلام اسرته ببغداد وسافر الى استانبول ومصر وحصل من السلطان على رتبة الحرمين وتولى نيابة قضاء البصرة عام ١٢٨٤ هـ الى سنة ١٢٨٦ هـ وفيها الف هذا الكتاب كما ذكر فى آخره وفرغ من تأليفه عام ١٢٨٦ هـ ـ وتوفى عام ١٣٠٠ هـ . وقد ترجم له الشيخ ياسين باش اعيان فى مقدمته وعلق على كتابه ودون مؤاخذاته عليه ومنها عدم ذكره لبعض المواقع والانهر الشمالية من جهة قضاء القورنة ومن الجنوب كنهر مهيجران الذى هو من أشهر انهر البصرة كما أهمل قسما من تراجم أعلام البصرة . أوله ـ الحمد لله الذى تاهت العقول فى بيداء معرفة كنه ذاته المقدسة ـ رتبه على مقدمة وثلاثة مسالك وخاتمة . كمل آخره بخط المرحوم الشيخ ياسين باش اعيان العباسى بتاريخ شهر رجب سنة ١٣٥٤ هـ وقد وضع له ذيلا ضمه الى الأصل ابتدأ به من صحيفة ٢٧٠ الى ٢٧٣ وفى الوصول الى هذا الحد طرأ على بصره ضعف أدى الى احتجابه . وهو مخطوط بخطه .

٢٣ ــ النخل ـ لابى الحسن علي بن اسماعيل النحوى الاندلسى المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ فرغ من نسخه الشيخ ياسين باش اعيان العباسى فى رمضان سنة ١٣٥٥ هـ وترجم لمؤلفه فى مقدمته كما وضع له فهرساً .

٢٤ ــ النخلة ــ تأليف ابى حاتم بن سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستانى البصرى كمل أوله وآخره بخط المرحوم الشيخ ياسين باش اعيان وبتاريخ رجب ١٣٥٥ هـ وترجم لمؤلفه فى مقدمته . كتبه على النسخة التى جلبها من امريكا المستر داوسن مدير مزرعة شركة هلس اخوان فى البصرة وهى مصورة أخذت النسخة المطبوعة فى روما عام ١٨٩١ م وقد فرغ من تأليفه السجستانى فى سنة ٣٠٤ هـ

٢٥ ــ مختصر زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر ـ للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي يبحث تاريخ حوادث افراسياب الذى استقل فى البصرة على

عهد الدولة العثمانية فى القرن الحادى عشر للهجرة وهو رسالة صغيرة بخط الشيخ ياسين باش اعيان نسخه بتاريخ ١٣٢٣ هـ.

اما الكتب المطبوعة فتحتوى على عدد يزيد على الاثنى عشر الف كتاب التى هى من جهة قدم الطبع تعد من النفائس العزيزة لانها مطبوعة فى أوائل أوقات اختراع الطبع العربى وحلوله فى الشرق الاوسط ويوجد من الكتب المطبوعة القليلة النسخة القديمة العلمية وان كانت قد تقارب العهد فى طبعها لكنها نادرة النسخة. وانها تحتوى على مختلف العلوم والفنون وأشهر العلوم الموجودة فيها ـ التاريخ والحديث والادب والفقه والسياسة وعلم الحيوان والشعر واللغة والصرف والنحو والبديع والبيان والحقوق والرجال والسياسة والفلسفة والملل والنحل والحكمة والطب والعروض والمعانى وعلم القوافى وأصول الفقه والمنطق والحساب والهندسة والجغرافية والجبر والمقابلة وعلم النبات وعلم البحار. عدا العلوم الغريبة والابواب النادرة. وكذلك المجلات والجرائد القديمة المجلدة من العهد الاستبدادى والدستورى قبل الحرب العالمية الاولى.

وفيها بعض الكتب الغربية باللغة الانكليزية والافرنسية والالمانية ونحو ذلك...

فهرس مواضيع الكتاب

ص

فهرس الصور المنشورة في هذا الكتاب

ص

الخطأ والصواب

بالرغم من الاعتناء بتصحيح الكتاب فقد وقعت بعض الاغلاط المطبعية . لذا نرجو من القراء الكرام ملاحظة ذلك .

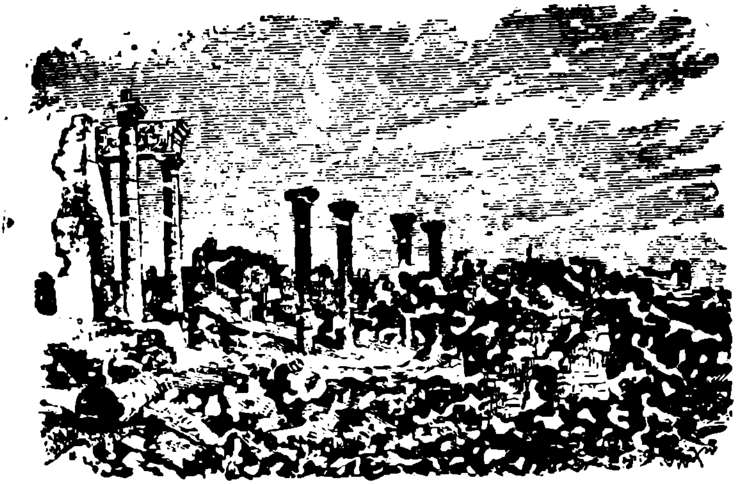
ص	س	خطأ	صواب
١٤	١٦	قبلى	قبل
١٦	٥	مزرابهم	مرازبهم
١٧	٢٣	يعضهم	بعضهم
٢٣	٤	الحسن البصرة	الحسن البصري
٢٦	١٩	بحبة خز	بجبة خز
٢٨	٩	صوتك	موتك
٦٢	٤	سليمان عفيف	سليمان شفيق
٧١	١٨	بحارة	بجادة
٧٨	١٩	ثلاثة سنين	ثلاث سنين

BASRAH

ITS HISTORICAL PERIODS

BY

Abd - Al - Qadir Bash 'A'ayan - Al - 'Abbasi



صورة تأريخية لمسجد الجامع الكبير في البصرة القـــديمـة

Printed at Al - Basry Press - Baghdad

الثمن (٢٥٠ فلساً)